إصداراتنا الرقمية (244)

سلسلة المنوعات (36)

تهذيب كتاب محمد رسول الله شمائله الحميدة خصاله المجيدة

للعلامة عبد الله سراج الدين الحلبي
(1342 - 1422 هـ)

مع إضافة (150) حديثاً في شمائل النبي
من الجامع الصغير السيوطي وشرح المناوي

للأستاذ الدكتور صلاح أبو الحاج
عميد كلية الفقه الحنفي

أنوار العلماء
مركز أنوار العلماء للدراسات

تهذيب كتاب محمد رسول الله ﷺ .....

..... شمائله الحميدة خصاله المجيدة

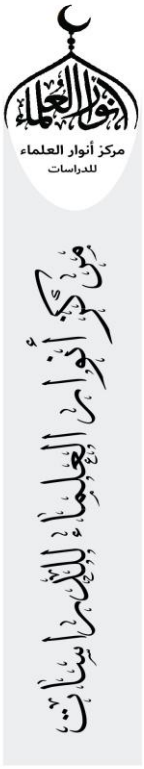

الطبعة الرقمية الأولى

١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٦ م

حقوق الطبع محفوظة

إصدار
مركز أنوار العلماء للدراسات
التابع
لرابطة علماء الحنفية العالمية
World League of Hanafi Scholars

جوال 00962781408764

البريد الإلكتروني anwar_center1995@yahoo.com

الدراسات المنشورة لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الناشر

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه
أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي سابق من الناشر

تهذيب كتاب محمد رسول الله ﷺ

شمائله الحميدة خصاله المجيدة

للعلامة عبدالله سراج الدين الحلبي

ولد سنة (1342هـ) وتوفي سنة (1422هـ)

مع إضافة (150) حديثاً في شمائل النبي ﷺ
من «الجامع الصغير» للسيوطي وشرح للمناوي

للأستاذ الدكتور صلاح أبو الحاج

عميد كلية الفقه الحنفي
جامعة العلوم الإسلامية العالمية

مركز أنوار العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، حبيبنا ومصطفانا سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

ففي كليتنا المباركة يدرس مساق بعنوان: «النفس الكاملة»، ويقصد به حضرة سيدنا رسول الله ﷺ في خَلقه وخُلُقه كقدوة للبشر لا من حيث سيرته المعروفة في آلاف كتب السيرة النبوية المشرفة، وبعد البحث وجدنا كتاب الشيخ المبارك الجليل عبد الله سراج الدين من أفضل الكتب التي يُمكن الاستفادة منها في تغطية مفرادات المساق وتحقيق أهدافه، لكن الكتاب واسع جداً ويشتمل أبواباً من سيرة النبي ﷺ تدرس في مساق السيرة النبوية.

فكانت الحاجة في اختصار الكتاب وتهذيبه؛ ليكون أحد وحدات المساق، وليضم إليها جوانب أخرى، فعكفت على تهذيب الكتاب عدة أيام لتحقيق المقصود، وبذلت قصارى جهدي للوصول للمرام.

ورأيت ضرورة في إضافة بعض الأحاديث في شمائله ﷺ مما ورد في «الجامع الصغير» للسيوطي مع شرح المناوي حيث ذكر ما يَزيد عن (700) حديثاً متعلقاً بالشمائل، فاختصرت منها (150) حديثاً، مع شرح يسير عليها وبيان تخريجها، وزدتها في مواضع مختلفة من الكتاب تحت عناوين مستقلة؛ ليتم النفع بها، وتكتمل الصورة لإيجاد كتاب يُرشد إلى نفس كاملة تتحقَّق في حضرة النبي ﷺ.

وأسأل الله تعالىٰ التوفيق في ذلك، وأن يَنال هذا المختصر القبول كما نال أصله، وأن ينتفع الطلبة به والكملة، وأن يتقبل الله هذا العمل، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا رسول الله وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الأستاذ الدكتور صلاح أبو الحاج

عميد كلية الفقه الحنفي في جامعة العلوم الإسلامية العالمية

بتاريخ 26ـ 3ـ 2026م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم، على سيدنا محمد، إمام الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه والتابعين أجمعين.

وبعد؛ فقد جمعت في هذا الكتاب فصولاً موجزةً تُعبر عن بعض الشمائل المحمدية، عليه أفضل الصلاة والسلام، وتحكي بعض جوانب أخلاقه العلية، وسيرته السنيّة، لعلها تذكر العاقل، وتنبّه الغافل، وتعلم الجاهل.

وإنه ليتحتم الأمر على كل عاقل مكلف أن يتعرف إلى أوصاف هذا الرسول العظيم والنبي الكريم، ليسير بنور سيرته، وليتأسى بكمال أخلاقه ﷺ.

وإذا كانت العقلاء تطمح إلى معرفة عظياء العالم وكبرائه، فإن أحق ما يجب أن تطمح إليه وتطمع فيه هو التعرف إلى سيد السادات، وفخر الكائنات، الذي رفعه الله تعالى أعلى الدرجات، ورقّاه فوق جميع أهل المراتب والمقامات ﷺ.

وإن أحداً من الناس مهما علا فضله، واتسعَ علمه، وكمل عقله، لا يستطيع أن يحيط بمحاسن هذا النبي الكريم، ولا أن يستقصي أنواع كماله، وألوان جماله ﷺ، بل كلهم عاجز عن التعبير عن تلك المعاني المحمدية، والصفات المصطفوية.

تمهيد
في وجوب التعرف إلى جناب
رسول الله ﷺ وسجاياه اللطيفة

1. **أن الله تعالى أمر العباد أن يؤمنوا بهذا الرسول الكريم** ﷺ فقال: ﴿آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير﴾، والإيمان به ﷺ يتطلب من العباد أن يعرفوا فضل هذا النبي الكريم، ورفعة مستواه على غيره.

2. **أن الله تعالى أمر العباد باتباع النبي** ﷺ فقال تعالى: {إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم}، فجعل سبحانه الدليل الصادق على محبته هو اتباع النبي ﷺ، وقال تعالى: {وَاتبعوه لعلكم تهتدون} أي: إلى ما فيه سعادتم في الدنيا والآخرة.

وهذا يتطلب البحث عن أعماله ﷺ، وعن أقواله وأحواله، ويتطلّب التعرّف إلى سجاياه الكريمة وأخلاقه العظيمة، ليتأسّى به، وليتبع في ذلك اتباعاً كاملاً شاملاً، إلا فيما خصّه الله تعالى به من الأحكام والأحوال.

3. **أن الله تعالى أوجب على المؤمنين أي يحبوا النبي** ﷺ **فوق محبة الآباء والأبناء**، والأزواج والعشيرة، والتجارة والأموال، وأوعد من تخلف عن تحقيق ذلك بالعقاب، فقال سبحانه: ﴿قل: إنْ كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارة تخشُونَ كسادها ومساكنُ

ترضّونها أَحَبَّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتىٰ يأتيَ الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾.

4.**أن اطلاع الإنسان على أوصافه ﷺ العظيمة وشمائله الكريمة ليعطي** صورةً علميةً تنطبع في القلب، وترتسم في المخيلة، كأنه قد رأىٰ محبوبه ﷺ.

فقد كان ﷺ يذكر لأصحابه أوصاف الرسل قبله ويقرّب إليهم ذلك بأشباههم، حتىٰ إنهم يصيرون بحالٍ كأنهم قد رأوهم، وذلك أقرب سبيل للتعرف بهم، وأقرب طريق للتحبب فيهم.

فعن أبي هريرة ﷺ: قال ﷺ: « ليلة أسري بي لقيتُ موسىٰ ـ قال الراوي: فنعتِه النبي ﷺ ـ أي: وَصَفَهُ ـ رَجُل الرأس، كأنه من رجال شنوه، قال: ولقيتُ عيسىٰ ـ فنعتِه ﷺ فقال: ـ رَبْعَةٌ أَحْمَرَ، كأنما خرج من ديماس ـ يعني: الحمام ـ ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به.. » رواه الشيخان.

5.**أن في ذكر شمائله ﷺ وسماع أوصافه ونعوته، تحيا قلوب المحبين،** وتطرب أرواحهم وعقولهم، ويزداد حبهم، ويتحرك اشتياقهم.

المبحث الأول
صفاته ﷺ الخَلقية

تمهيد
في جوامع من أوصافه الكريمة ﷺ
المشتملة على محاسن خَلقه

إن من أجمع الأحاديث الواردة في بيان أوصاف النبي ﷺ الخُلُقية والخَلْقية، وما يتعلق بآدابه الخاصة والعامة، ومن أوضح تلك الأحاديث المعربة عن شمائله ﷺ حديث هند بن أبي هالة.

فعن الحسن بن علي ﷺ: «سألت خالي هند بن أبي هالة ـ وكان وصَّافاً ـ عن حِلْيَة رسول الله ﷺ، وأنا أشتهي أن يصفَ لي منها شيئاً أتعلَّق به فقال: كان رسول الله ﷺ فُخْماً مُفَخَّماً يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلةً البدر، أطول من المربوع، وأقصرَ من المُشَذَّب ـ الطويل ـ، عظيمَ الهامة ـ الرأس ـ، رجلَ الشَّعر ـ جعودة ـ، إذا انفرقتْ عقيقتُه فَرَقَها، وإلا فلا ـ يفرق بسهولة نصف ونصف شمال ـ، يُجاوز شعره شحمةً أُذُنَيه إذا هو وفُره: أي إذا جعل شعره وافراً وأعفاه من الفرق ﷺ.

أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب ـ أي تقوُّس في الحاجب مع طولٍ من طرفه ـ، سوابغ في غير قَرَن ـ أي الحاجب ـ، بينها عِرْق يُدِرُه الغضب، أَقنىٰ العِرْنين ـ أي أرتفاع أعلىٰ الأنف ـ، له نورٌ يعلوه، يحسّبه من لم يتأملّه أَشَمَّ ـ أي ارتفاع قصبة الأنف ـ كَثّ اللحية، سهل الخدّين، ضليع الفم، مفلّج الأسنان.

دقيق المَسْرُبة ـ أي الشعر بني الصدر والسرة ـ، كأنّ عنقه جِيدٌ ـ أي العنق ـ دُميةٍ في صفاء الفضة، معتدل الخَلْق، بادئًا، متماسك ، سواءُ البطن والصَّدْر ـ أي بطنه وصدره الشريفين مستويان ـ، عريضُ الصدر، بعيدُ ما بين المنكبين، ضخم الكراديس ـ رأس العظم ومجمعا كالركبة والمنكب ـ، أنور المتجرّد ـ أي عن الثوب ـ، موصول ما بين اللَّبَّة والسرَّة بشعر يجري كالخط، عاري الثَّديين والبطن ممَّا سوىٰ ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصَّدْر.

طويل الزَّندين، رحب الراحة ـ أي الكف ـ، شُثْن الكفين والقدمين ـ أي ضخم الكفين والقدمين ـ ، سائل الأطراف أو قال: شائل ـ أي مرتفع ـ الأطراف، خُمُصَان الأخْصَين ـ أي وسط القدم فهي مرفعة عن الأرض ـ، مسيح ـ أي أملس ـ القدمين ينبو عنها الماء، إذا زالَ زالَ قِلْعاً ـ أي يرفع القدم بقوة ـ.

يخطو تكفّياً ـ أي يمشي مائلاً ـ ويمشي هَوْناً ـ أي رفقاً ـ، ذريع المشْيّة ـ أي واسع الخطوة ـ، إذا مشىٰ كأنما ينحطّ من صَبَب ـ أي: كأنما ينزل في موضع منحدر ـ، وإذا التفتَ التفت جميعاً ـ أي لا يسارق النظر ـ، خافضَ الطّرف ـ أي العين ـ، نظره إلىٰ الأرض أطولُ من نظره إلىٰ السماء، جُلُّ نظره الملاحظة ـ أي النظر بلحاظ العين ـ، يسوق أصحابهُ، ويبدرُ من لقي بالسلام» رواه الطبراني والبيهقي.

أولاً: حول محاسن صورته الشريفة ﷺ:

اعلم أن الله تعالىٰ خلق سيدنا محمداً ﷺ في أجمل صورة بشرية، وأكمل خلقة آدمية، فهو ﷺ مجمع المحاسن المبدّعات، والفضائل والكمالات الخَلْقِيّة والخُلُقِيّة، وقد أجمعت كلمة الذين رأوه ووصفوه علىٰ أنه ﷺ لم يُرَ له مثيل سابق ولا نظير لاحق.

قال البراء بن عازب ﷺ: «كان النبي ﷺ أحسن الناس وجهاً، وأحسنهم خُلُقاً، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير » متفق عليه.

وعنه ﷺ: «كان النبي ﷺ مربوعاً، بعيد ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنيه، رأيته في حُلةٍ حمراء، لم أر شيئاً قطّ أحسن منه ﷺ» رواه مسلم.

وعن علي ﷺ: «كان رسول الله ﷺ ليس بالقصير ولا بالطويل، ضخم الرأس، شثْن الكفين والقدمين، مُشْرَباً وجهه بحمرة، طويل المسربّة، إذا مشى تكفأ كأنما يقلع من صخر، لم أرَ قبله ولا بعده مثله» رواه الإمام أحمد.

وعن علي ﷺ أنه كان إذا وصف رسول الله ﷺ قال: «لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل الممقَّط، ولا بالقصير المتردّد، وكان ربْعة من القوم، ولم يكن بالجَعْد القَطَط، ولا بالسبْط، كان جَعْداً رَجِلًا، ولم يكن بالمطهم ولا بالمُكَلَّثم، وكان في وجهه تدوير، أبيضَ، مُشْرَب بحمرة، أدعج العينين، أهدب الأشفار، جليل المشاش والكَتَد، أجردُ، ذو مَسْرَبَةٍ، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى تقلع كأنما ينحط من صَبَبٍ، وإذا التفتَ التفتَ معاً، بين كتفيه خاتَم النبوّة وهو خاتم النبيين، أجودُ الناس صدراً، وأصدقُ الناس لهجةً، وألينهم عريكةً، وأكرمهم عِشْرَةً، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفةً أحبه، يقول ناعته: لم أرَ قبله ولا بعده مثله» رواه الترمذي والبيهقي.

وعن الجُزيري أنه قال لأبي الطفيل: «رأيتَ رسول الله ﷺ ؟ فقال: نعم. قلت: كيف رأيته ؟ فقال: كان رسول الله ﷺ أبيضَ مليحَ الوجه» رواه مسلم والترمذي.

ثانياً: تلألؤ وجهه المنبر وإشراق مُحياه:

كان ﷺ أحسن الناس وجهاً، وأنورهم مُحيًا، اجتمعت كلمة الصحابة رضي الله عنهم الذين وصفوا رسول الله ﷺ، على أنه ﷺ، كان منير الوجه، مُشرِق المحيا، يتلألأ بالنور الباهر، والضياء الزاهر، والبهاء الظاهر.

فمن الصحابة من ضرب المثل لبهاء نوره ﷺ بالشمس، ومنهم من شبّه ذلك بالقمر، ومنهم من شبّه لمعة إشراقات وجهه الشريف بلمعة القمر، وجميع هذا مما يثبت لنا إشراقات وجهه الظاهرة، وأنواره الباهرة ﷺ، ومما ورد:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه: «ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ، كأنّ الشمس تجري في وجهه» رواه الترمذي.

وعن هند بن أبي هالة رضي الله عنه: «سألت خالي هند بن أبي هالة ـ وكان وصافاً ـ عن حلية النبي ﷺ وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به. فقال: كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً، يتلألؤ وجهه تلألؤ القمرليلة البدر.. » رواه الترمذي.

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه: «رأيت رسول الله ﷺ فيليلة إِصْحِيَان ـ أي مقمرة ـ وعليه حُلة حمراء، فجعلتُ أنظر إليه وإلى القمر فلهوَ عندي أحسن من القمر» رواه الترمذي.

ثالثاً: عرقه الشريف وطيب رائحته ﷺ:

كان من صفاته ﷺ: أنه طيّب الرائحة وإن لم يمسّ طيباً، ومع ذلك كان يستعمل الطيب في كثير من الأوقات، ليسنّ ذلك لأمته فيتبعهُ، ولأنه حبب إليه الطيب، ففي الترمذي

قال ﷺ: « حُبَّ إليَّ من دنياكم: الطيب والنساء، وجُعلتْ قرَّة عيني في الصلاة».

ومما يدل على أن طيب الرائحة كان صفة له ﷺ وهي أطيب الطيب كله:

1. **أن رائحته الزكية أطيب من النفحات العنبرية والمسكية،** فعن أنس ﷺ: «ما شممتُ عنبراً قطُّ، ولا مسكاً، ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله ﷺ، ولا مسستُ شيئاً قط: ديباجاً ولا حريراً ألين مساً من رسول الله ﷺ» رواه الشيخان.

2. **تطيّب الصحابة بعرق النبي ﷺ وتبرّكهم به:** فعن أنس ﷺ: «دخل علينا النبي ﷺ فقال ـ أي نام ـ عندنا، فعرق فجاءت أمي – أم سُلّيم بنت مِلحان – بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها، فاستيقظ النبي ﷺ فقال: يا أم سُليم ما هذا الذي تصنعين ؟ » قالت: هذا عرقك نجعله في طيباً، وهو من أطيب الطيب» رواه مسلم.

3. **طيبه العبق ﷺ ينفح كل شيء مسه وكل طريق مرّ فيه:** فعن وائل ﷺ: «لقد كنت أصافح رسول الله ﷺ أو يمسُّ جلدي جلده، فأتعرّفه بعدُ في يدي، وإنه لأطيب رائحة من المسك» رواه الطبري والبيهقي.

وعن عائشة رضي الله عنها: «كانت كفُّ رسول الله ﷺ ألين من الحرير، وكأنَّ كفه كفُّ عطارٍ مسها بطيب أو لم يمسها، يصافح المصافح فيظل يومه يجد ربحها، ويضع يده على رأس الصغير فيعرف من بين الصبيان بريحها» رواه أبو نعيم والبيهقي.

وعن أنس ﷺ: «كان رسول الله ﷺ إذا مر في طريق من طرق المدينة، وجدوا منه رائحة الطيب، وقالوا: مرَّ رسول الله ﷺ من هذا الطريق» رواه أبو يعلى والبزار بإسناد صحيح.

رابعاً: حول خصائص ريقه ﷺ الشريف:

لقد أعطى الله تعالى رسوله ﷺ خصائص كثيرة في ريقه الشريف، ومن ذلك: أن ريقه ﷺ فيه شفاء للعليل، ورواء للغليل، وغذاء وقوة وبركة ونماء...، فكم داوى ﷺ بريقه الشريف من مريض فبريء من ساعته!.

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه: «قال رسول الله ﷺ يوم خيبر: لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله. فلما أصبح الناس غدّوًا على رسول الله ﷺ وكلهم يرجو أن يُعطاها، فقال ﷺ: أين عليّ بن أبي طالب؟ فقالوا: هو يا رسول الله ﷺ يشتكي عينيه، قال: فأرسِلوا إليه، فأتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، فبريء كأنه لم يكن به وجع...» رواه الشيخان.

خامساً: جماله ﷺ:

إن الله تعالى خلق سيدنا محمداً ﷺ في أجمل صورة بشرية، وأكمل خِلْقة آدمية، انطوت فيه جميع المحاسن المبذّعات، والفضائل والكهالات، قال سبحانه: ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾.

ولقد أجمعتْ كلمة الصحابة الذين وصفوه على أنه لم يُرَ قبله ولا بعده مثله ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: «ما رأيتُ أحسنَ من رسول الله ﷺ، كأنَّ الشمس تجري في وجهه ﷺ» رواه الترمذي.

سادساً: قوة بصره الشريف ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿ ما زاغَ البصرُ وما طغى ﴾، فقد وصفه الله تعالى ـ وهو ﷺ في المشهد الأعلى ـ بأنه ما زاغ بصره؛ أي: لم يجرُ، وما طغى؛ أي: لم يجاوز المنظور إليه، المتجلي عليه، وفي هذا دليل قوة بصره وثباته، لأن البصر إذا بهره

النور الساطع: إما أن يزيغ ويجار، وإما أن يجاوز المنظور إلى غيره كللًا وضعفاً منه، فلم يقع منه ﷺ شيء من ذلك، لما أعطاه الله تعالى من القوة في بصره.

ومن خصائصه البصرية: أنه كان يرى ما لا يرى غيره، فعن أبي ذر ﷺ قال ﷺ: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون.. » رواه الترمذي.

فكان يرى جبريل والملائكة الكرام دون أن تتمثل بصورة، فعن ابن مسعود ﷺ أنه قال: «رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته، وله ستمائة جناح، كلُّ جناحٍ منها قد سدَّ الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل والدّر والياقوت، ما الله به عليم» رواه أحمد.

وعن ثوبان ﷺ قال ﷺ: «إن الله زَوَى ـ أي: جمع ـ لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوِيَ لي منها...» رواه مسلم.

وكان ﷺ يرى من ورائه كما يرى من أمامه، فعن أبي هريرة ﷺ

قال ﷺ: «هل تَرُونُ قِبْلَتي ها هنا ؟ فو الله ما يخفى عليَّ ركوعكم ولا سجودكم إني لأراكم من وراء ظهري» رواه الشيخان.

سابعاً: قوة سمعه الشريف ﷺ:

إنَّ الله تعالى أعطى رسوله سيدنا محمداً ﷺ قوة في السمع خاصةً، فكان يسمع ما لا يسمع غيره، فعن أبي ذر ﷺ، قال ﷺ: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء، وحُقَّ لها أن تَئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك واضعُ جبهته لله تعالى سَاجَداً، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، و لخرجتم إلى الصُّعَدات تجأرون إلى الله تعالى ».

ومن ذلك سماعه ﷺ عذاب المقبورين النيامين والغيابين، والذين لا يستنزهون ولا يسترون من البول، فعن ابن عباس رضي الله عنها أن النبي ﷺ مرَّ

بحائط من حيطان مكة أو المدينة، فسمع صوت إنسانين يُعَذَّبان في قبورهما، فقال النبي ﷺ: «إنها ليعذبان وما يعذَّبان في كبير، ثم قال: بلى كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة» رواه البخاري.

ثامناً: صوته الشريف ﷺ:

كان صوت النبي ﷺ على غايةٍ من الحسن، وقد أعطاه الله تعالى قدرة في الإسماع، وبلوغ صوته المسافات الشاسعة، والأماكن الواسعة، التي لا يبلغها صوت غيره.

فعن أنس رضي الله عنه قال ﷺ: «ما بعث الله نبياً إلا حسنَ الوجه حسن الصوت، وكان نبيكم أحسنهم وجهاً وأحسنهم صوتاً» رواه الترمذي.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه: «قرأ رسول الله ﷺ في العشاء والتين والزيتون ﷺ فلم أسمع صوتاً أحسنَ منه» رواه الشيخان.

التاسع: أرجحية عقله الشريف ﷺ على سائر العقول:

بلغ سيدنا محمد ﷺ رسولُ الله تعالى، من أرجحيَّة العقل وكهاله الغاية القصوى التي لم يبلغها أحد سواه، وذلك بنعمة الله تعالى وفضله عليه ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ن. والقلم وما يَسطُرون. ما أنتَ بنعمةِ ربِّك بمجنون﴾ أي: أنت في أعلى مستوى كهال العقل وسمو الفكر.

فعن قُرة بن هبيرة رضي الله عنه قال ﷺ: «قد أفلحَ مِنْ رُزِقَ لُبًا» رواه الطبراني: أي: عقلًا راجحاً، اهتدى به إلى الإسلام، وفعل المأمورات، وترك المنهيات. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾، وفي هذا بيان منه ﷺ أن العقل الرجيح، يُلزم صاحبَه بالتمسك بهذا الدين الإسلامي؛ لأنه دين كامل صحيح، وهو غاية بغية العقل الرجيح.

ويتجلى لك كمالُ عقله ﷺ وسعةُ فكره، في جميع قضاياه وأعماله وأقواله وأحواله، ونحن نذكر لك أطرافاً موجزة هي قطرة من بحره ﷺ:

1. إن مواجهته ﷺ للعالم الذي انتشرت الجاهلية الجهلاء في جميع طبقاته ومِلله: عربهم وعجمهم، حتى إنهم ضلَّت عقولهم، وجهلوا دينهم، وصاروا يعبدون أوثاناً وأحجاراً نحتتْها أيديهم، وربما صنَع أحدُهم صنماً صغيراً من تمر أو عجوة فعبده مدة مديدة، حتى إذا جاعَ أكله !.

قال تعالى: {أَدْعُ إلى سبيلِ ربِّك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ وجادلهم بالتي هي أحسنُ إنَّ رَبَّكَ هو أعلمُ مِن ضلَّ عن سبيلِهِ، وهو أعلم بالمهتدين}، ولكنَّ التعاليمَ الإلهية والإيجاءات الربانية، لا بدَّ لها من عقلٍ كبير، مشرق منير، قد أعدَّه الله تعالى لحملها، ثم تطبيقها وتنزيلها في منازلها اللائقة بها، فإن الناس تتفاوتُ مراتبهم.

فمنهم: من إذا عُرضتْ عليه الحكمة سلَّمَ لها، واستسلم لأمرها. ومنهم: من أخذت بنفسِه الشهواتُ المفرطةُ مأخذَها، فيحتاج إلى وعظ وتذكير بسوء ما يعمل، وعواقب ما يقترف. ومنهم: من تسلطت على قلبه الشبهات الاعتقادية الفاسدة، فهو يحتاج إلى ما يزيلها من قلبه بالحجج القاطعة، والجدل بالتي هي أحسن، ولذا نوَّعَ الله تعالى أساليبَ الدعوة؛ لأنَّ كلَّ أسلوبٍ له موقعه وأثره وموضعه، ومن هنا يُعلم يقيناً أن أعقلَ العقلاءِ هو سيدنا محمد ﷺ.

2. إنَّ من تأمل في أساليب حجته على عَبَدَةِ الأوثان، ومن نظر في أدلته على اليهود النصارى، وإلزامهم الحجة وإفحامهم وإلقامهم حجر الخذلان، تراءت له إشعاعاتٌ من عقليته الكبرى ﷺ، وأيقن أنَّ عقله ﷺ أكمل العقول وأعلاها، وأوسعها وأفضلها.

3. إن حسن تأليفه ﷺ بين قومه الذين كانوا أشتاتاً منقسمين على بعضهم، ورفعُه الخلافَ من بينهم، وإبعاده إياهم عن الشحناء والبغضاء، لا سيما في محازّ الاختلافات، ومثار العصبيّات والقَبَلِيّات، إن هذا لمن أكبر الشواهد على سعة عقله ﷺ، وسموّ فكره، كما في حادثة وضع الحجر الأسود في موضعه.

4. فرط ذكائه مواقفه اليقظة مع المتصدِّين له بالعداوة، وأخذُه بأنواع الحذر منهم، وردُه مكرهم عليهم، ويظهر ذلك في الوقائع معهم، مثل: أخذه بأسباب التحفظ من مكرهم وخديعتهم: فعن زيد بن ثابت ﷺ قال: أتي بي إلى النبي ﷺ مُقْدَمَه المدينة - أي حين: قدم المدينة - فقيل له ﷺ هذا من بني النجار، وقد قرأ سبع عشرة سورة. فقرأتُ عليه ﷺ، فأعجبه ذلك. فقال لي ﷺ: « تعلَّمُ كتابَ يهود - أي: كتابتهم ولغتهم - فإني ما آمنهم على كتابي ». قال زيد: ففعلت، فما مضى لي نصف شهر حتى حُذِقْتُه، فكنتُ أكتب له إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأتُ له ﷺ رواه البخاري معلقاً.

العاشر: خاتم النبوة:

لقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أنه ﷺ كان بين كتفيه خاتَم النبوة، وهو كما قال علماءُ الحديث: «بَضْعَةُ لحمٍ ناشزةٌ ـ أي: مرتفعة ـ في ظهره الشريف، عند ناغص كتفيه اليسرى، عليها شعرات كأنها خيلان، يزهو بالنور، وتعلوه المهابة، وينفح بالطيب» رواه الترمذي عن عليّ ﷺ.

وعن جابر بن سمرة ﷺ: «رأيتُ خاتماً في ظهر رسول الله ﷺ كأنه بيضة حمام» رواه مسلم.

المبحث الثاني
صفاته ﷺ الخُلُقية

تمهيد:

أولاً: خلقه العظيم ﷺ:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عظيمٍ﴾، فهو ﷺ عظيم في كل ناحية من نواحي الأخلاق الكاملة، فهو عظيم ﷺ في حلمه وسباحته، عظيم في كرمه وسخائه، عظيمٌ في شجاعته، عظيمٌ في كريم عشرته، عظيمٌ في حيائه، عظيمٌ في أدبه، عظيمٌ في رحمته ورأفته، عظيمٌ في سائر أخلاقه ﷺ!

وكيف لا يكون صاحبَ الخلق العظيم وقد تخلّق بالقرآن العظيم ! كما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها سُئلتْ عن خُلُق رسول الله ﷺ؟ فقالت: «كان خُلُقه القرآن: يغضب لغضبه، ويرضى لرضاه» رواه مسلم.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سُئلتْ عن خُلُق رسول الله ﷺ؟ فقالت: «كان أحسنَ الناسِ خُلُقاً، كان خلقه القرآن: يرضى لرضاه ويغضب لغضبه، لم يكن فاحشاً ولا مُتَفَحِّشاً، ولا صَخَّاباً في الأسواق، ولا يُجْزِي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ثمّ قالت: إقرأ: ﴿ قد أَفلَحَ المؤمنون.. ﴾ إلىٰ العشر الآيات، فقرأ السائل، فقالت: هكذا كان خلقه ﷺ»، رواه ابن أبي شيبة.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما كان أحدٌ أحسنَ خُلُقاً من رسول الله ﷺ ما دعاه أحدٌ من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال: «لبيك»، فلذلك أنزل الله تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عظِيمٍ﴾ رواه ابن مردويه وأبو نعيم.

وعن عمر ﷺ أن رجلاً نادىٰ النبي ﷺ ثلاثاً، كل ذلك يردُّ عليه: « لبِيكَ لبِيكَ » رواه أبو يعلىٰ. هو المثل الأكمل في الخَلْق والخُلُق

ثانياً: رسول الله ﷺ هو المثل الأكمل في الخَلْق والخُلُق:

فعن أنس ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً، وأحسنهم خُلُقاً» رواه البخاري، فهو ﷺ أجمل خلق الله تعالىٰ خُلُقاً، وأكملهم خُلُقاً، بل هو فياض المكارم والكمالات علىٰ العالم.

وعن أبي هريرة ﷺ قال ﷺ: « بُعِثْتُ لَأُتَمِّ صَالِحَ الأخلاق » رواه أحمد، وبلفظ: «بُعِثْتُ لَأُتَمِّ مكارم الأخلاق» رواه مالك بلاغاً.

قال الجنيد: «وإنما كان خلُقُه عظيماً؛ لأنه لم يكن له ﷺ همٌّ سوىٰ الله تعالىٰ».

فقد جمع ﷺ مكارم الأخلاق التي جاءت بها الأنبياء قبله، وجاء بها كلّها، وزادهم كمالاً علىٰ الكمال، وجمالاً فوق جمال.

ولقد أثنىٰ الله تعالىٰ علىٰ حبيبه سيدنا محمد ﷺ بعظيم خُلقه، وكمال أدبه وفضله، في التوراة والإنجيل وسائر الكتب الإلهية، كما أثنىٰ عليه، ومدحه بعظيم خُلُقه، وكمال أدبه وفضله، في القرآن العظيم، فعن عطاء بن يسار ﷺ: «لقيتُ عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، فقال: أجل إنه ﷺ لموصوفٌ في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أَيُّهَا النبيُّ إِنَّا أُرسلناكَ شاهداً ومبشِّراً ونذيراً، وحرْزاً للأمِّيِّين، أنت عبدي ورسولي، سمَّيتُك المتوكِّل، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ، ولا صَخَّاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله تعالىٰ حتىٰ يُقيمَ به المِلَّة العوجاء، بأنْ يقولوا: لا إله إلاَّ الله، ويفتحَ به أعيناً عمياً، وآذاناً صُمّاً، وَقُلوباً غُلْفاً» رواه البخاري.

المطلب الأول

قلبه الشريف ﷺ ونظافته وتجمله

أولاً: قلبه الشريف ﷺ:

إن قلب سيدنا محمد ﷺ هو خير القلوب وأزكاها، وأوسعها وأقواها، وأتقاها وأنقاها، وألينها وأرقُها، وهو القلب الواعي اليقظان، الفياض بأنوار الإيمان والقرآن.

فخير القلوب قلبه الشريف ﷺ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه: «إن الله تعالىٰ نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، وابْتَعَثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه ﷺ يُقاتلون عن دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيّئاً فهو عند الله سيءٌ» رواه أحمد.

كما وأن قلبه الشريف ﷺ هو أزكي القلوب وأطهرها، فقد شُقَّ صدره الشريف منذ صغره واستُخرج من قلبه حظّ الشيطان، فعن أنس رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ، وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشقّ عن قلبه، فاستخرج القلبَ، فاستخرج منه علقةً، فقال: هذا حظّ الشيطان منك، ثم غسله في طَسْتٍ من ذهب بماء زمزم، ثم لامّه ـ أي أصلح موضع الشق ـ، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعّون إلىٰ أمّه، يعني: ظئره ـ أي مرضعته ـ فقالوا: إن محمداً قد قُتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللّون ـ أي: متغير اللّون ـ قال أنس: وقد كنتُ أرىٰ أثر ذلك المِخْيط في صدره ﷺ. وهذا الشقُّ للصدر الشريف قد حصل له ﷺ أوّل مرة وهو صغير السنّ عند حليمة رضي الله عنها» رواه مسلم.

ومن أوصاف قلبه ﷺ:

1 .**سعة قلبه الشريف ﷺ وقوته**: قال الله تعالىٰ: ﴿ نزل به الروح الأمين علىٰ قلبك لتكونَ من المنذرين ﴾. ففي هذه الآية إيماء إلىٰ تخصيص قلبه الشريف ﷺ بنزول القرآن عليه دون سائر القلوب، وذلك لكمال اتساعه الذي منحه الله تعالىٰ إياه وقوة تحمُّله لتنزُّلات القرآن العظيم، الذي لو أنزل علىٰ الصمِّ الراسيات والجبال الشائعات، لتصدَّعَتْ وتشقَّقت من خشية الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن علىٰ جبلٍ لرأيته خاشعاً متصدِّعاً من خشية الله... ﴾ الآية.

وإن قلباً نزل عليه القرآن الكريم بأسراره وأنواره، وحروفه ومعانيه، وروحه وحقائقه، حقاً إن هذا القلب أوسع القلوب وأقواها ! قال تعالىٰ: ﴿ وكذلك أو حينا إليك روحاً من أمرنا ما كنتَ تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكنْ جعلناه نوراً نهدي به مَن نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلىٰ صراط مستقيم ﴾.

فأفاض من بحر أسرار قلبه الشريف، علىٰ قلوب أتباعه، وأشعَّ في مرايا قلوبهم من مشارق أنواره؛ ومن تدَّبر في قوله تعالىٰ: ﴿ ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلىٰ صراط مستقيم ﴾ فهم المعنىٰ.

2 .**قلبه الشريف ﷺ أتقى القلوب**: فعن أبي ذر ﷺ في الحديث القدسي: «يا عبادي لو أن أوَّلكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا علىٰ أتقىٰ قلب رجلٍ واحدٍ منكم: ما زاد ذلك في ملكي شيئاً... » رواه مسلم.

فهذا القلب الذي هو أنقىٰ القلوب المشار إليه في الحديث، هو قلب سيدنا محمد ﷺ الذي قال: « أما والله إني لأخشاكم الله، وأتقاكم له » رواه الشيخان.

وعن ابن مسعود ﷺ قال ﷺ: «لا يُبلِّغني أحد عن أحدٍ من أصحابي شيئاً، فإني أُحبُّ أن أخرج إليكم وأنا سليمُ الصدر» رواه أبو داود.

3 .**يقظة قلبه الشريف** ﷺ: لقد أعطى الله تعالى رسوله ﷺ يقظة القلب، فهو في توجُّه إلى الله تعالى ووعي عنه دائمين، لا تعتريه غفلة، ولا يطرأ على قلبه ﷺ شائبة نومة، ولذا كانت رؤياه المنامية من جملة طرق الوحي وأنواعه، كما أن نومه لا ينقض وضوءه ﷺ، وقد ثبت ذلك بالأحاديث الصحيحة.

فعن عائشة رضي الله عنها في حديث قيام النبي ﷺ بالليل، قالت عائشة: قلت: يا رسول الله أتنام قبل أن تُوتر ؟ فقال: « يا عائشة إن عينيَّ تنامان ولا ينام قلبي» رواه البخاري.

ثانياً: اهتمامته ﷺ بالنظافة:

كان أنظف خلق الله تعالى بدنا وثوباً وبيتاً ومجلساً، فلقد كان بدنه الشريف نظيفاً وضيئاً.

فعن أبي جحيفة رضي الله عنه: «رأيت النبي ﷺ وعليه حلة حمراء، كأني أنظر إلى بريق ساقيه» رواه الترمذي، وذلك لأن ثوبه كان إلى أنصاف ساقيه تحت الركبة، وإن طيب عَرْفِه وعرقه هو أكبر دليل على نظافة جسمه.

وكان ﷺ يأمر بالنظافة ويحثّ عليها، ويحذر من الوساخة، وقد جاء ذلك منه على وجوه متعددة.

1 .**بيانه ﷺ أن من مبادئه الإسلام النظافة:** فعن سعد رضي الله عنه قال ﷺ: «إن الله تعالى طيّب يحب الطيّب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جَواد يحب الجود، فنظّفوا أفنيتكم ولا تشبّهوا باليهود» رواه الترمذي.

2 .**حَثهُ ﷺ على نظافة البدن بشتى وسائل النظافة:** فمن ذلك: أمره ﷺ بالغسل تحذيره من ترك ذلك، فعن جابر رضي الله عنه قال ﷺ: «على كل رجل مسلم في كل سبعة أيام غسل يوم، وهو يوم الجمعة» رواه أحمد.

وعن عائشة رضي الله عنها قال ﷺ: «عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقصُّ الأظفار، وغسل البراجم ـ أي عقد الأصابع ـ، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء» رواه مسلم.

3. **حَثه ﷺ على التنظف من آثار الطعام والشراب:** فعن عن سلمان ﷺ قال ﷺ: «بركة الطعام: الوضوء قبله، والوضوء بعده» رواه الترمذي، والمراد هنا الوضوء اللغوي وهو غسل اليدين.

4. **حَثه ﷺ على نظافة الثياب:** فعن الأشعث بن سليم أنه قال سمعت عمتي تحدث عن عمها قال: بينا أنا أمشي في المدينة إذا إنسان خلفي يقول: «ارفع إزارك، فإنه أنقىٰ» فإذا هو رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إنما هي بُرْدة مَلْحَاء، فقال: « أما لك فيَّ أسوة ؟ !» فنظرت فإذا إزاره ﷺ إلىٰ نصف ساقيه» أخرجه الترمذي في الشمائل.

5. **حثُّه ﷺ على تنظيف البيوت والأفنية:** قال ﷺ: «فنظِّفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود» رواه الترمذي.

6. **حثُّه ﷺ على تنظيف الجوامع، وأنّ ذلك من القُرُبات وكبار الحسنات:** فعن أنس ﷺ قال ﷺ: «عُرضتْ عليّ أجور أمتي حتىٰ القَذَاة يُخرجها الرجل من المسجد، وعُرضتْ عليّ ذنوب أمتي، فلم أرَ ذنباً أعظم من سورةٍ من القرآن أو آيةٍ أوتيها رجل ثم نسيها» رواه أبو داود والترمذي.

7. **حثُّه ﷺ على نظافة الطرق والساحات العامة ونهيُه عن تلويثها بالأوساخ والمضارّ،** وبيانه أن ذلك يعتبر شعبةً من شعب الإيمان التي لا يتم الإيمان إلا بها: فعن أبي هريرة ﷺ قال ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون، فأفضلها: قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق».

فإذا كان المؤمن لا يجوز له بمقتضى إيمانه أن يترك أذىً رآه في الطريق ويمكنه أن يزيله، وليس ثمة غيره يزيله، فمن باب أولى وأَحَقُّ وأوجب أنه لا يجوز له أن يلقي الأذى في الطريق.

8. **إن مشروعية الوضوء والغسل** اللذين جاء بهما رسول الله ﷺ لهي أكبر شاهد على أن النظافة هي أصل أصيل في دين الإسلام، وأنها من أهم المبادئ التي جاء بها رسول الله ﷺ، فإن في الوضوء والغسل إزالة للنجس، ورفعاً للحدث، ونظافة من الوسخ والدنس.

9. **إن الأحاديث النبوية الواردة في الحثِّ على السواك وبيان آثاره والتحذير من تركه**، لهي أكبر دليل على أن النظافة والرعايات الصحية هي من مبادئه الإسلام، فعن عائشة رضي الله عنها، قال ﷺ: «السواك مَطْهَرة للفم مرْضاة للربّ» رواه النسائي.

ثالثاً: اهتمامه ﷺ التجمل:

كان ﷺ يتجمل، ويأمر أصحابه بالتجمل، وكان يؤكد ذلك في المجتمعات والمقابلات عامّة، وفي الجُمَع والأعياد خاصةً.

فعن عائشة رضي الله عنها قال ﷺ: « إنَّ الله جميل يحب الجمال، إذا خرج أحدكم إلى إخوانه فليتهيأ في نفسه » رواه ابن السني.

وقد بين النبي ﷺ أن حسن السَّمْت والزِيِّ الحسن من شمائل الأنبياء وخصالهم الأصيلة، فعن عبد الله بن سَرجس رضي الله عنه قال ﷺ: «القَصْد والتؤدة وحسن السمت جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة » رواه مالك.

رابعاً: ضحكته ﷺ:

كان أصحاب النبي ﷺ يبحثون عن أخلاق النبي ﷺ وأحواله وآدابه ليتبعوه، ومن ذلك: تتبعهم لأوصاف ضحكته ﷺ، وللأسباب التي كان يَضحك من أجلها، وذلك لتتبين لهم الأسباب التي يجوز للمسلم أن يضحك من أجلها شرعاً، وما لا يجوز الضحك منه شرعاً؛ لأن الضحك منه ما يجوز شرعاً، ومنه ما لا يجوز في الشرع، ولا يُعرف ذلك إلاَّ بالرجوع إلى الأصول الثابتة عن رسول الله ﷺ.

ولقد كان أكثر ضحكته ﷺ التبسُّم، فعن هند بن أبي هالة رضي الله عنها: « جُلُّ ضحكته ﷺ التبسُّم، يفترُ عن مِثل حَبِّ الغمام» رواه الترمذي.

والمعنى أنه ﷺ يضحك ضحكاً حسناً، كاشفاً عن سنٍّ مثل حَبِّ الغمام ـ وهو البَرَد ـ في البياض والصفاء والبريق.

وعن عبد الله بن الحارث ﷺ: «ما كان ضحك رسول الله ﷺ إلَّا تبسُّماً» رواه الترمذي.

وعن عائشة رضي الله عنها: «ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ قَطُّ مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه لَهَوَاتِهِ، إنما كان يتبسم» رواه أبو داود.

وكان ﷺ يضحك أحياناً حتى تبدو نواجذه: فعن سعد بن أبي وقاص ﷺ: «لقد رأيتُ النبي ﷺ ضحك يوم الخندق حتى بدت نواجذه» رواه أحمد.

وأما الضحكُ المنهِيُّ عنه شرعاً: فهو ما كان من باب السخرية، قال الغزالي: «كثرة الضحك والفرح بالدنيا سُمّ قاتِل يسري إلى العروق، فيخرج من القلب الخوف والحزن».

فعن أبي هريرة ﷺ قال ﷺ: «لا تكْثروا من الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب» رواه ابن ماجه.

الحادي عشر: تتمة صفات النبي ﷺ الخَلْقية[1]:

نضيف لهذا المبحث بعض الأوصاف الخَلقية لحضرة النبي ﷺ الواردة في بعض الروايات التي يحسن الإطلاع عليها والتأمل فيها، ومنها:

1. مليحاً مقتصداً، فعن عن أبي الطفيل ﷺ: «كان رسول الله ﷺ أبيض مليحاً مقصداً» رواه مسلم: أي كان رسول الله ﷺ أبيض مليحاً مقتصداً يعني ليس بجسيم ولا نحيف ولا طويل ولا قصير كأنه نحى به القصد من الأمور.

2. أبيضاً، فعن أبي هريرة ﷺ: «كان ﷺ أبيض كأنما صيغ من فضة رجل الشعر» رواه الترمذي: أي خلق من الصوغ يعني الإيجاد أي الخلق .

3. أسود الحدقة، فعن علي ﷺ: «كان ﷺ أبيض مشرباً بياضه بحمرة وكان أسود الحدقة أهدب الأشفار» رواه البيهقي البيهقي في الدلائل وصححه السيوطي، وأهدب الأشفار حروف الأجفان التي ينبت عليها الشعر.

4. ضخم الهامة، فعن علي ﷺ: «كان ﷺ أبيض مشرباً بحمرة ضخم الهامة أغر أبلج أهدب الأشفار» رواه البيهقي: أي كان أبيض مشرباً بحمرة أي مخالط بياضه حمرة كأنه سقى بها ضخم الهامة: أي عظيم الرأس وعظمه ممدوح محبوب؛ لأنه أعون الإدراكات ونيل الكمالات، أغر: أي صبيح أبلج أي مشرق مضيء.

6. أحسن البشر قدماً، فعن ابن بريدة ﷺ: «كان ﷺ أحسن البشر قَدماً» رواه ابن سعد مرسلاً وصححه السيوطي.

---

(1) مستفادة من الجامع الصغير للسيوطي مع شرح للمناوي.

7.حسن السبلة، فعن العذاه بن خالد ﷺ: «كان ﷺ حسن السبلة» رواه الطبراني في الكبير، وصححه السيوطي: أي كان حسن السَّبَلة ما أسبل من مقدم اللحية على الصدر.

8.شبح الذراعين، فعن أبي هريرة ﷺ: «كان ﷺ شبح الذراعين، بعيد ما بين المنكبين أهدب أشفار العينين» رواه البيهقي، وصححه السيوطي: أي كان شبح الذراعين عبلهما عريضهما ممتدهما.

9.توسط الشعر، فعن عائشة رضي الله عنها: «كان شعره دون الجمة وفوق الوفرة» رواه الترمذي في الشمائل وابن ماجة، وصححه السيوطي.

10.قليل الشيب، فعن ابن عمر ﷺ: «كان ﷺ شيبه نحو عشرين شعرة» رواه الترمذي وابن ماجة، وصححه السيوطي: كان شيبه نحو عشرين شعرة بيضاء في مقدمه.

12.ضخم الأعضاء، فعن أنس ﷺ: «كان ﷺ ضخم الرأس واليدين والقدمين» رواه البخاري، وصححه السيوطي.

13.أشكل العينين، فعن جابر بن سمرة ﷺ: «كان ﷺ ضليع الفم أشكل العينين منهوس العقب» رواه مسلم والترمذي وصححه السيوطي.

14.عظيم اللحية، فعن علي ﷺ: «كان ﷺ ضخم الهامة عظيم اللحية» رواه البيهقي وصححه السيوطي: أي كان ضخم الهامة كبيرها وعظم الرأس، يدل على الرزانة والوقار، عظيم اللحية غليظها كثيفها.

وعن جابر بن سمرة ﷺ: «كان كثير شعر اللحية» رواه مسلم: كان كثير شعر اللحية أي غزيرها مستديرها.

15.ساقيه دقيقة، فعن جابر بن سمرة ﷺ: «كان ﷺ في ساقيه حموشة» رواه الترمذي والحاكم وصححه السيوطي: كان في ساقيه حموشة أي دقة.

16.الوجه كالشمس، فعن جابر بن سمرة ﷺ: «كان ﷺ وجهه مثل الشمس والقمر وكان مستديراً» رواه مسلم: أي كان وجهه مثل كل من الشمس والقمر: أي الشمس في الأضاءة، والقمر في الحسن والملاحة، أو الواو بمعنى بل؛ إذ الشمس تمنع استيفاء الحظ من رؤيتها، فاللائق القمر وما الوفاء من أنه لم يقم مع شمس إلا غلب ضوؤه ضوء الشمس.

خامساً: زينته ولباسه ﷺ[1]:

وردت روايات عديدة تحدثنا عن اهتمام النبي ﷺ بلباسه وادهانه واكتحاله وتزينه واغتساله ونظافته وتقليمه لأظافره وغيرها من الأمور الخاصة التي يحسن بالمسلم الاقتداء بحضرة النبي ﷺ فيها، ومن ذلك:

1. كيفية استعماله للدهن، فعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ إذا ادهن صب في راحته اليسرى، فبدأ بحاجبيه ثم عينيه ثم رأسه» رواه الشيرازي في الألقاب وضعفه السيوطي.

وعن القاسم بن محمد رضي الله عنه: «كان ﷺ إذا أتي بمدهن الطيب لعق منه ثم ادهن» رواه ابن عساكر مرسلاً وضعفه السيوطي.

2. يلبس للجمعة ثوباً جديداً، فعن أنس رضي الله عنه: «كان ﷺ إذا أستجد ثوباً لبسه يوم الجمعة» رواه أبو الشيخ، وضعفه السيوطي؛ لكونه أفضل أيام الأسبوع، فتعود بركته على الثوب وعلى لابسه.

3. يسدل العمامة، فعن ابن عمر رضي الله عنه: «كان ﷺ إذا اعتم سدل عمامته بين كتفيه» رواه الترمذي: كان إذا اعتم أي لف العمامة على رأسه سدل عمامته: أي أرخاها بين كتفيه يعني من خلفه.

---

(1) مستفادة من الجامع الصغير للسيوطي مع شرح للمناوي.

4. يبدأ بالميامن في اللبس، فعن أبي هريرة ﷺ: «كان إذا لبس قميصاً بدأ بميامنه» رواه الترمذي وضعفه السيوطي: أي أخرج اليد اليمنى من القميص.

5. له طيب يتطيب به، فعن أنس ﷺ: «كان ﷺ له سُكّة يتطيب منها» رواه أبو داود وحسنه السيوطي.

وعن عائشة رضي الله عنها: «كان يعجبه الريح الطيبة» رواه أبو داود والحاكم وصححه السيوطي: لأنها غذاء للروح، والروح مطية القوى، والقوى تزداد بالطيب وهو ينفع الدماغ والقلب وجميع الأعضاء الباطنة، ويفرح القلب ويسر النفس، وهو أصدق شيء للروح وأشده ملاءمة لها، وبينه وبين الروح نسب قريب، فلهذا كان أحب المحبوبات إليه ﷺ من الدنيا.

6. له مكلحة يكتحل بها، فعن ابن عباس ﷺ: «كان ﷺ له مُكحلة يكتحل منها كل ليلة ثلاثة في هذه وثلاثة في هذه» رواه الترمذي وابن ماجة وحسنه السيوطي.

7. يقلم أظفاره كل جمعة، فعن أبي هريرة ﷺ: «كان ﷺ يقلم أظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل أن يروح إلى الصلاة» رواه البيهقي في الشعب، وضعفه السيوطي.

وعن ابن عمر ﷺ: «كان ﷺ يتنور في كل شهر ويقلم أظفاره في كل خمسة عشر يوماً» رواه ابن عساكر وضعفه السيوطي.

8. يستعط بالسمسم، فعن أبي جعفر ﷺ مرسلاً: «كان ﷺ يستعط بالسمسم ويغسل رأسه بالسدر» رواه ابن سعد وضعفه السيوطي: أي يدهن بالسمسم ويغسل رأسه بالسِّدر ورق شجر النبق المطحون.

9. يلبس قلنسوة بيضاء، فعن ابن عمر ﷺ: «كان ﷺ يلبس قلنسوة بيضاء» رواه الطبراني في الكبير وحسنه السيوطي.

10. يصفر لحيته، فعن ابن عمر ﷺ: «كان ﷺ يلبس النعال السبتية، ويصفر لحيته بالورس والزعفران» رواه أبو داود وصححه السيوطي.

11. يحفي شاربه، فعن أم عياش رضي الله عنها: «كان ﷺ يحفي شاربه» رواه الطبراني في الكبير وحسنه السيوطي: أي يبالغ في قصه.

12. يغتسل بالصاع، فعن أنس ﷺ: «كان يغتسل بالصاع ويتوضأ بالمد» رواه البخاري.

13. يتنشف بخرقة، فعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ له خرقة يتنشف بها بعد الوضوء» رواه الترمذي والحاكم.

سادساً: تختم النبي ﷺ[1]:

معلوم كراهة التختم التنزيهية للرجل عند السادة الحنفية؛ لأنه نوع زينة وتجمل، والرجل ليس محلاً للزنية، وتنتفي الكراهة إن كانت هناك حاجة لذلك كالأمير والقاضي ممن يحتاج للختم، ولم يتخذ النبي ﷺ الختم إلا عندما احتاج إليه لختم الكتب المرسلة، فكان لخاتمه أوصاف نورد بعض الأحاديث فيها:

1. خاتمه غدة حمراء، فعن جابر بن سمرة ﷺ: «كان ﷺ خاتمه غدة حمراء مثل بيضة الحمامة» رواه الترمذي وصححه السيوطي.

2. يضع الخاتم في الخلاء، فعن أنس ﷺ: «كان ﷺ إذا دخل الخلاء وضع خاتمه» رواه أصحاب السنن، وصححه السيوطي.

---

(1) مستفادة من الجامع الصغير للسيوطي مع شرح للمناوي.

3. يتختم في يمينه ويساره، فعن ابن عمر ﷺ: «كان ﷺ يتختم في يمينه» رواه البخاري.

وعن أنس ﷺ: «كان ﷺ يتختم في يساره» رواه مسلم.

وعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ يتختم في يمينه ثم حوله في يساره» رواه ابن عساكر.

4. يتختم بالفضة، فعن عبد الله بن جعفر ﷺ: «كان ﷺ يتختم بالفضة» رواه الطبراني في الكبير وحسنه السيوطي.

5. فصه جهة الكف، فعن أنس ﷺ: «كان ﷺ يجعل فصه مما يلي كفه» رواه ابن ماجة وصححه السيوطي.

المطلب الثاني
كلامه ﷺ وسعة علمه

تمهيد: في صفات آدابه ﷺ في منطقه وسكوته:

قال الحسن ﷺ: فقلت لخالي هند: صفْ لي منطق رسول الله ﷺ، فقال: «كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفِكرة، ليس له راحة، طويل السكت لا يتكلم في غير حاجة، يفتتح الكلام ويختمه باسم الله تعالى، ويتكلم بجوامع الكلم، كلامه فضل ولا فضول ولا تقصير، ليس بالجافي ولا المهين، يعظم النعمة وإن دقت، لا يذم منها شيئاً منها، غير أنه لم يكن يذم ذوقاً ولا يمدحه.

ولا تُغْضِبه الدنيا ولا ما كان لها، فإذا تُعدِّي الحقُّ، لم يُقَمْ لغضبه شيءُ حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها.

إذا أشارَ أشارَ بكفِّه كلّها، وإذا تعجَّب قَلَّبها، وإذا تحدَّث اتَّصلَ بها وضربَ براحته اليمنىٰ بطنَ إبهامه اليسرىٰ، وإذا غضِبَ أعرض وأشاح، وإذا فرح غضَّ طرفَه، جُل ضحكِه التبسُّم، يفترُّ عن مثل حَبِّ الغَمام أي ضحكاً حسناً ـ» رواه الطبراني في الكبير.

أولاً: حلاوة منطقه ﷺ:

كان رسول الله ﷺ حلو المنطق، حسن الكلام، إذا تكلّم أخذ بمجامع القلوب، وسبىٰ الأرواح والعقول.

وكان إذا تكلم يخرج النور من بين ثناياه، فعن ابن عباس ﷺ: «كان رسول الله ﷺ أفلح الثَّنِيَّتين، إذا تكلم رِيء كالنور يخرج من بين ثناياه» رواه الترمذي.

ثانياً: آدابه في الكلام ﷺ:

كان ﷺ يتكلم بكلام مفصَّل مبيّن، بحيث لو أراد مستمعه أن يعدّه لأمكنه ذلك، لوضوحه وبيانه، فعن عائشة رضي الله عنها: يما كان رسول الله ﷺ يسرد الحديث كسردكم هذا، يحدّث حديثاً لو عدّه العاد لأحصاه» رواه الشيخان

ثالثاً: حاله ﷺ في الخطبة:

كان ﷺ يتغير حاله عند الموعظة، اهتماماً وإعظاماً، ويُعْرَف ذلك في وجهه ﷺ، فعن جابر ﷺ: «كان رسول الله ﷺ إذا خطب اشتدَّ غضبه، وعلا صوته، واحمرَّت عيناه، كأنه منذرٌ جيشٍ يقول: صبَّحكم ومسَّاكم» رواه مسلم.

ومما ورد من الأحاديث خطبته وقراءته[1]:

(1) مستفادة من الجامع الصغير للسيوطي مع شرح للمناوي.

فعن سعد بن القرظ ﷺ: «كان ﷺ إذا خطب في الحرب خطب على قوس، وإذا خطب في الجمعة خطب على عصا» رواه ابن ماجة والحاكم والبيهقي في الشعب وصححه السيوطي.

وعن جابر بن سمرة ﷺ: «كان ﷺ لا يطيل الموعظة يوم الجمعة» رواه أبو داود الحاكم وصححه السيوطي: لئلا يمل السامعون.

وعن أبي بكر ﷺ: «كان ﷺ قراءته المد ليس فيها ترجيع» رواه الطبراني في الكبير وحسنه السيوطي.

رابعاً: قوَّة وعظه وتذكيره وتأثيره في الصحابة:

كان ﷺ إذا وعظ أثر في قلوب السامعين، وطيّب نفوسهم، حتى إنهم لتذرف دموعهم، وترِقُّ وتخشع قلوبهم، ويرتقي الحال بهم إلى المشاهدات والمعاينات، فعن حنظلة بن الربيع قال: «لقيني أبو بكر الصديق ﷺ فقال لي: كيف أنت يا حنظلة ؟ فقلت له: نافق حنظلة. فقال لي: انظر ما تقول! فقلت له: نكون عند رسول الله ﷺ يذكّرنا بالنار والجنة كأنما رأي عين، فإذا خرجنا من عنده عافَسْنا الأزواج والأولاد والضَّيْعات، ونسينا كثيراً» رواه مسلم4: 2106.

خامساً: فصاحة لسانه وبلاغة كلامه ﷺ:

كان رسول الله ﷺ أفصح خلق الله تعالى لساناً، وأوضحهم بياناً، أُوتي جوامع الكلم، وبدائع الحِكم، وقوارع الزجر، وقواطع الأمر، والقضايا المحكمة، والوصايا المبرمة، والمواعظ البالغة، والحجج الدامغة، والبراهين القاطعة، والأدلة الساطعة.

فعن ابن عمر ﷺ: «خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً كالمودّع فقال: أنا محمد النبي الأمي ـ قالها ثلاثاً ـ ولا نبي بعدي، أوتيت فواتحَ الكَلِم، وخواتمه، وجوامعه.. » رواه أحمد.

فكيف لا يكون أفصح خلق الله تعالىٰ، وقد آتاه الله تعالىٰ الكلم الجامع للمعاني الكثيرة، في الألفاظ اليسيرة، فعن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال وهو علىٰ المنبر: «يا أيها الناس إني قد أعطيت جوامع الكلم وخواتيمه، واختُصِرَ ليَ اختصاراً، ولقد أتيتكم بها ـ أي: الشريعة ـ بيضاءَ نقيةً، فلا تَهُوكوا، ولا يضرنكم المتهوكون» رواه أبو يعلىٰ وابن أبي حاتم.

ومن جوامعِ كَلِمَة ﷺ:

1.عن ابن عمر ﷺقال ﷺ: «كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ، أو عابرٌ سبيل، وعُدَّ نفسك من أهل القبور» رواه الترمذي.

2.عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله أوصني، فقال ﷺ: «عليك بالإياس مما في أيدي الناس، وإياك والطَّمَعَ، فإنه الفقر الحاضر، وصلّ صلاتك وأنت مُودِّع، وإيَّاك وما يُعتذر منه» رواه الحاكم والبيهقي.

3. عن حذيفة ﷺ، قال ﷺ: «لا تكونوا إمَّعةٌ: تقولون: إنَّ أحسن الناس أحسنَا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطِّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن لا تظلموا» رواه الترمذي وحسنه.

4.عن ابن مسعود ﷺ، قال ﷺ: «عليكم بالصّدق، فإن الصّدق يهدي إلىٰ البرّ، والبرّ يهدي إلىٰ الجنّة، وما يزالُ الرجلُ يصدّق ويتحرىٰ الصّدقَ حتىٰ يُكتبَ عند الله صدّيقاً، وإيّاكم والكذبَ فإن الكذبَ يهدي إلىٰ الفجور، والفجورُ يهدي

إلى النار، وما يزالُ العبدُ يكذبُ ويتحرّىٰ الكذبَ حتىٰ يُكتب عند الله كذّاباً» رواه الشيخان.

5.عن ابن مسعود ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف ترىٰ في رجل أحبُّ قومًا ولم يلحق بهم ؟ ـ أي: ولم يستطع أن يعمل بعملهم ـ. فقال ﷺ: « المرء مع من أحبَّ » رواه الشيخان.

6.عن ابن عمر ﷺ قال ﷺ: «بِرُّوا آباءَكُم، تَبَرَّكُمُ أَبنَاؤُكُم، وَعِفُّوا تَعِفَّ نسَاؤُكُمُ» رواه الطبراني بإسناد حسن.

7.عن أبي هريرة ﷺ قال ﷺ: « مَنْ نَفَّسَ عن مؤْمِنٍ كُرْبةٍ من كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ الله عنه كربةً مِنْ كُرَبِ يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدُّنيا والآخرة، ومَنْ يسُرّ علىٰ معسرٍ يسُرّ الله عليه في الدُّنيا والآخرة، والله في عَوْنِ العبد ما كان العبدُ في عون أخيه، ومَنْ سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنّة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلتْ عليهم السكينة، وغشيتهم الرَّحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بَطَّأ به عمله، لم يُسْرِعْ به نسبُه» رواه مسلم.

8. عن أبي بَرْزَة الأَسْلمِي ﷺ قال ﷺ: «لا تَزُولُ قدما عبدٍ يوم القيامة حتىٰ يُسألَ عن أربع: عن عُمُره فيمَ أفناه، وعن علمه ما عمل به، وعن ماله من أين أكتسبه، وفيمَ أنفقه، وعن جسمه فيمَ أبلاه » رواه الترمذي وصححه.

9.عن جابر ﷺ قال ﷺ: «يا أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشْغَلُوا، وصِلُوا الذي بينكم وبين ربكم: بكثرةٍ ذكركم له، وكثرةٍ الصدقة في السرِّ والعلانية، تُرْزَقُوا وتَنْصُرُوا وتُجْبِرُوا» رواه ابن ماجة والطبراني.

10.عن أبي سعيد الخدري ﷺقال ﷺ:«إنَّ الدنيا خَضِرَةٌ حُلوة، وإنَّ الله مستخلفكم فيها، فناظرٌ كيف تعملون، ألا فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، ألا لا تمنعنَّ رجلاً هيبةُ الناس أن يقولَ بحقٍّ إذا عَلِمَه...» رواه الترمذي.

سادساً: سعة علمه ﷺ وكثرة علومه التي لا يُحصيها إلا الله تعالى الذي أفاضها عليه:

كان رسول الله ﷺ واسع العلم، عظيم الفهم، أفاض الله تعالى عليه العلوم النافعة الكثيرة، والمعارف العالية الوفيرة، وقد أعلن سبحانه وتعالى بسعة علمه ﷺ، وأعلم بعظيم فضله، فقال سبحانه: ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾.

فهو ﷺ أعلمُ خلق الله تعالى، وأعرفهم بالله تعالى، قال ﷺ: «إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا» رواه الشيخان.

ومن تدبّر في تعاليم الله تعالى لرسله وأنبيائه صلوات الله تعالى عليهم، الواردة في القرآن الكريم، يتضح له جلياً أن سيدنا محمداً ﷺ قد علمّه الله تعالى علوماً هي أكثر وأوفر وأجمع وأعمّ، وذلك لأنه سبحانه قال: ﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم ﴾، فجيء بـ « ما » التي هي للعموم والشمول، لتعمّ جميع العلوم التي علمّها الله تعالى لرسله وأنبيائه، ولتشمل غيرها من العلوم التي أفاضها الله سبحانه عليه.

فعن أنس ﷺ الناس سألوا نبيُ الله ﷺ حتى أحَفُوهُ بالمسألة ـ أي: أكثروا عليه الأسئلة ـ فخرج ذات يوم فصعد المنبر فقال: «سلوني لا تسألوني عن شيء إلا بيَّنْتُه لكم » رواه الشيخان.

المطلب الثالث
حسن عشرته ﷺ لأهله والناس

أولاً: كمال لطفه ولين عريكته ﷺ:

قال الله تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ الآية، كان ﷺ لينُ الجانب، سهلَ الخُلُق، حسنَ المعاشرة مع الأهل والأصحاب وسائر الناس، يعطي جليسَهُ حظًا كبيرًا من الانبساط والملاطفة وحسن المقابلة.

فعن عليّ ﷺ أنه كان إذا وصف رسول الله ﷺ يقول: «أجود الناس صدرًا، وأصدقهم لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عِشْرَةٍ.. » رواه الترمذي.

وعن ابن عمر ﷺ: «لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا مُتفحَّشًا، وكان يقول: إنَّ من خياركم أحاسنكم أخلاقًا» رواه البخاري.

ومن لطفه ﷺ أنه ما كان يقابل أحدًا بما يكره: فعن أنس ﷺ: «لم يكن النبي ﷺ سبابًا، ولا فاحشًا، ولا لَعَّانًا، وكان يقول لأحدنا عند المعاتبة: « مَالَهُ تَرِبَتْ جَبِينُهُ!» رواه أحمد20: 60.

بل كان ﷺ أشدّ الناس لطفًا: فعن أنس ﷺ: «كان رسول الله ﷺ أشدّ الناس لطفًا، والله ما كان يمتنعُ في غداةٍ باردةٍ من عبدٍ ولا أَمَة تأتيه بالماء، فيغسل وجهه ﷺ بالماء وذراعي، وما سأله سائلٌ قط إلاّ أصغىٰ إليه، فلا ينصرف ﷺ حتىٰ يكون هو ـ أي: السائل ـ الذي ينصرف عنه، وما تناول أحدٌ يده قطُ إلاّ ناوله إيّاها، فلا ينزع ﷺ يدَه حتىٰ يكون الرجل هو الذي ينزعها منه»، روىٰ أبو نعيم في الدلائل.

ثانياً: انبساطه ﷺ مع الأهل وذوي القرابة:

فعن سعد بن أبي وقاص ﷺ أنه قال: استأذن عمر ﷺ على رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلّمْنَه ويستكثرنَه، عاليةً أصواتُهنَّ، فلمَّا استأذن عمر ﷺ، قُمْن يبتدِرْنَ الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ فدخل، ورسول الله ﷺ يضحك، فقال عمر: أضحكَ الله سنك يا رسول الله ﷺ ؟ فقال ﷺ: عجبتُ من هؤلاءِ اللّاتي كنّ عندي، فلما سمعْنَ صوتك ابتدرن الحجاب، فقال عمر: فأنت يا رسول الله أحقُّ أَنْ يَهَبْنَ، ثم قال عمر: أيْ عَدُوَّاتٍ أنفُسِهِنَّ أَتَهَبْنَنِي ولا تَهَبْنَ رسول الله ﷺ؟! قلن: نعم أنت أغلظُ وأَفْظُ، فقال ﷺ: والذي نفسي بيده ما لَقَيْكَ الشيطانُ قَطُّ سالِكاً فَجّاً إِلَّا وسلكَ فَجّاً غيرَ فَجِّكَ» رواه مسلم.

ثالثاً: كريم عشرته وحسن معاملته ﷺ مع زوجاته وسائر أهله:

كان رسول الله ﷺ كريمَ العِشْرَة مع زوجاتِه وسائر أهله، يلاطفُهُنَّ ويمازحُهُنَّ، ويعاملُهُنَّ بالودِّ والإحسان.

فعن عائشة رضي الله عنها، قال ﷺ: «خيرُكمْ خيرُكُم لأهْلِه، وأنا خيرُكُم لأهْلِي» رواه الترمذي، وزاد ابن عساكر: «ما أَكْرَمَ النِّساءُ إِلَّا كريم، ولا أَهانَهُنَّ إِلَّا لَئيم».

وعن عائشة رضي الله عنها قال ﷺ: «إنَّ مِن أَكمَلِ المؤمنين إِيمَانًا أَحسنَهم خُلُقًا، وأَلطفهم بأَهلِه » رواه الترمذي.

وعن ابن عباس ﷺ قال ﷺ: «خيركم خيركم للنساء» رواه الحاكم وصححه.

وعن أبي هريرة ﷺ قال ﷺ: «أكملُ المؤمنين إِيمَانًا: أَحسنُهم خُلُقًا، وخِيارُكم خِياركم لنسائهم» رواه الترمذي وصححه.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سُئلت: كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في بيته؟ فقالت: «كان ألين الناس، بِسَّامًا صَحَّاكًا، لم يُرَ قَطُّ مَادًا رجليه بين أصحابه ﷺ» رواه ابن سعد، وذلك لعظيم أدبه وكمال وقاره.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «خرجتُ مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية ـ أي: حديثة السن ـ لم أحِل اللحم ولم أَبْدُن، فقال للناس: تقدّموا فتقدّموا. ثم قال لعائشة رضي الله عنها: تعالي حتى أُسابقَك، فسابقَتُه ﷺ فسبقتُه، فسكت عني، حتى حملتُ اللحم وبَدَّنْتُ وسمنْتُ، فخرجتُ معه ﷺ في بعض أسفاره، فقال ﷺ: تقدّموا، فتقدّموا؛ ثم قال: تعالي أُسَابِقُكِ، قالت عائشة رضي الله عنها: فسبقني، فجعل يضحك ﷺ ويقول: هذه بتلك» رواه أبو داود وأحمد.

رابعاً: معانته ﷺ أهله في الأمور البيتية:

فعن الأسود قال: سألتُ عائشة رضي الله عنها: «ما كان النبي يصنع في أهله؟ فقالت: كان في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة» رواه البخاري، وفي هذا تنبيه للأمة أن يسيروا على هذا الكمال، ولا يكونوا من جبابرة الرجال، خاصة مع الأهل والعيال.

ولقد أوصى رسول الله ﷺ بالنساء خيراً في مناسبات متعددة، وفي مجتمعات خاصة وعامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: « استوصوا بالنساء.. » رواه الشيخان.

خامساً: تأنيسه ﷺ لزوجاته وملاطفتهن:

فعن عائشة رضي الله عنها:«.... زوجي أبو زرع، وما أبو زرع ؟ أناسٌ من رواه البخاري حُلِيَ أُذُنِي ـ أي حلاني قرطة وشنوفاً ـ، وملأ من شحمٍ عضديٍ

ـ أي سمنت عنده ـ، وبجَّحني فَبَجِحتْ إليَّ نفسي ـ أي فرحني ففرحت ـ، وجدني في أهل غُنيمَةٍ بِشَقٍّ، فجعلني في أهل صهيل وأطيط ـ أي الخيل والإبل ـ ، ودانس ومُنَقٍّ ـ أي وجدها في أهل غنم قليلة، فهم في ضيق عيش، فحملها إلى أهل خيل وإبل وبقر، تدوس الزرع في بيدره لتخرج الحب من السنبل ـ ، فعنده أقول فلا أُقبِح، وأرقد فأتصبَّح، وأشربُ فأتقُمح ـ أي تشرب حتى تروى ـ ، أمُّ أبي زرع، فما أم أبي زرع؟ عكومها ردّاح ـ أي أن أعدالها وأوعية طعامها عظيمة ثقيلة ـ، وبيتها فساح. ابنُ أبي زرع، فما ابن أبي زرع؟ مَضْجِعه كَمَسْلُ شطْبة، وتُشْبعه ذراعِ الجَفْرة ـ أي الأنثى من أولاد المعز ـ.

جارية أبي زرع، فما جارية أبي زرع ؟ لا تبثُّ حديثنا تبثيثاً ـ أي لا تشيع حديثنا ـ ، ولا تَنْقُثُ ميرتنا ـ الطعام المجلوب ـ تنقيثاً، ولا تملّأ بيتنا تعشيشاً ـ أي أنها مصلحة للبيت معتنيه بتنظيفه ـ.

قالت أم زرع: خرج أبو زرع والأوطاب تُمخَض ـ أي تحرك لاستخراج الزبد من اللبن ـ، فلقي امرأة معها ولدان لها كالفَهْدِين، يلعبان من تحت خَصْرِها برمانتين، فطلّقني ونكحها.

فنكحتُ بعده رجلاً سَرِيّاً ـ أي من سراة الناس وأشرافهم ـ، ركب شَرِيّاً ـ أي فرساً يستشري في سيره ـ ، وأخذ خَطِّياً ـ أي الرمح ـ، وأراح عليّ نِعَماً ثريّاً ـ أي كثيرة ـ، وأعطاني من كل رائحة زوجاً ـ أي من كل ما يروح من الإبل والبقر والغنم ـ، وقال: كلي أُمَّ زرع، وميري أهلكِ، فلو جمعتُ كلّ شيءٍ أعطانيه ما بَلَغَ أصغرَ آنية أبي زرع. قالت عائشة رضي الله عنها: فقال رسول الله ﷺ: « كنتُ لكِ كأبي زرعٍ لِّأم زرعٍ» رواه الشيخان.

ويؤخذ من هذا الحديث: ندب حسن المعاشرة للأهل، وجلّ السمر في خيرٍ، كملاطفة زوجته، وإيناس ضيفهُ، وجواز ذكر المجهول عند المتكلم والسامع بما يكره.

سادساً: كريم عشرته ﷺ مع الناس كلهم:

فعن أنس رضي الله عنه قال: «خدمتُ النبي ﷺ ـ عَشْرَ سنين ـ فما قال لي أُفٍّ قط، ولا قال لشيءٍ صنعتُه: لِمَ صنعتُه ؟ ولا لشيءٍ تركتُهُ: لِمَ تركتَه» رواه الشيخان، وفي رواية أبي نعيم: «فما سبَّني ﷺ قط، ولا ضربني من ضربة، ولا انتهزني، ولا عبسَ في وجهي، ولا أمر في أمر فتوانيتُ فيه فعاتبني عليه، فإن عاتبني عليه أحدٌ من أهله قال: دعوه، لو قُدِّرَ شيءٌ كان».

سادساً: أدبه الرفيع مع مَنْ يحدثه ﷺ:

كان ﷺ يُصغي كلّ الإصغاء إلى مَنْ يحدثه، أو يسأله، ويقبل عليه ويلاطفه:

فعن أنس رضي الله عنه : «ما رأيتُ رجلاً التقم أُذُنَ النبي ﷺ ـ يعني يكلِّمه سراً ـ فيُنحِي رأسه عنه، حتى يكون الرجلُ هو الذي يُنحِي رأسه، وما رأيتُ رسول الله ﷺ أخذ بيده رجل فترك يده، حتى يكون الرجلُ هو الذي يَدَعُ يدَه» رواه أبو داود.

وعن أبي قتادة في حديث نومهم عن صلاة الفجر، وقد عطشوا وتكابُوا على الماء فقال ﷺ: « أَحْسِنُوا المُلاَ، كُلُّكُم سِيرُوى»، ففعلوا، فجعل رسول الله ﷺ يصبُّ، قال أبو قتادة: وأنا أسقيهم حتى ما بقي غيري وغيرُ رسول الله ﷺ؛ فقال لي: اشرب، فقلتُ: لا أشربُ حتى تشربَ يا رسول الله، فقال: إنَّ ساقِيَ القوم آخرهم شرباً، قال: فشربتُ وشرب رسول الله ﷺ» رواه مسلم.

سابعاً: حسن لقائه وكريم إقباله على جلسائه ﷺ:

فعن أبي هريرة ﷺ: «أن رسول الله ﷺ لم يكن أحد يأخذ بيده فينتزع يده حتىٰ يكون الرجل هو الذي يرسله، ولم يكن يُرىٰ ركبتيه أو ركبته خارجاً عن ركبة جليسه، ولم يكن أحد يصافحه إلا أقبل عليه بوجهه، ثم لم يصرفه عنه حتىٰ يفرُغ من كلامه» رواه البزار والطبراني بإسناد حسن.

وعن عمرو بن العاص ﷺ: «كان رسول ﷺ يُقْبِل بوجهه وحديثه علىٰ شرّ القوم، يتألّفه بذلك، وكان يقبل بوجهه وحديثه عليّ حتىٰ ظننت أني خير القوم فقلتُ: يا رسول الله أنا خير أم أبو بكر؟ فقال: أبو بكر. قلتُ يا رسول الله أنا خير أم عمر؟ قال: عمر، قلتُ: يا رسول الله أنا خير أم عثمان؟ قال: عثمان، فلمّا سألتُ رسول الله ﷺ صَدَّ عني، فوددتُ أني لم أكن سألتُه» رواه الترمذي في الشمائل، ورواه الطبراني وإسناده حسن.

ثامناً: بسامته ﷺ وطلاقة وجهه مع الناس:

كان رسول الله ﷺ أطلقَ الناس وجهاً، وأكثرهم تبسماً، وأحسنهم بِشْراً، فعن جابر ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أتاه الوحي، أو وعظ قلتَ: نذير قوم أتاهم العذاب، فإذا ذهب عنه ذلك رأيتَه أطلقَ الناس وجهاً، وأكثرهم ضحكاً، وأحسنهم بِشْراً» روىٰ البزار بإسناد حسن.

وعن عائشة رضي الله عنها لما سُئلت: «كيفَ كان رسولُ الله ﷺ إذا خلا في بيتهِ؟ فقالت: كان ألينَ الناس، بسَّامًا ضَحَّاكًا، لم يُرَ قطُّ مادًا رجلَيه بين أصحابه» رواه ابن راهويه.

تاسعاً: ردُّه ﷺ التحيةَ بأحسنَ منها:

فعن سليمان الفارسي ﷺ: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، فقال: وعليك ورحمة الله، ثمَّ أتى آخر فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله، فقال ﷺ: وعليك ورحمة الله وبركاته» رواه أحمد في الزهد.

الحادي عشر: ترحيبه ﷺ بالقادم عليه:

فعن علي ﷺ: «استأذن عمار على النبي ﷺ فعرف صوته فقال: مرحباً بالطيّبِ المُطيّب» رواه الترمذي وابن ماجة.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أقبَلتْ فاطمة تمشي كأنَّ مِشْيَتَها مِشْيَةُ النبي ﷺ، فقال ﷺ: مرحباً بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه أو شماله» رواه البخاري في الأدب المفرد.

وعن ابن عباس ﷺ لما قدم وفدُ عبد القيس على النبي ﷺ قال لهم: «مرحباً بالوفد، غيرَ خزايا ولاندامى.. » رواه الشيخان.

الثاني عشر: سؤاله ﷺ عن حال أصحابه بقوله: كيف أنت ؟ وكيف أصبحت:

فعن أنس ﷺ: «أن النبي ﷺ كان يلقى الرجل فيقول: يا فلان كيف أنت؟ فيقول: بخير أحمد الله، فيقول له النبي ﷺ: جعلك الله بخير» رواه أحمد.

وعن ابن عباس ﷺ قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال له: كيف أصبحت؟، فقال: بخير من قوم لم يعودوا مريضاً، ولم يشهدوا جنازة!» رواه أبو يعلى بإسناد حسن.

وعن ابن عمر ﷺ، قال ﷺ لرجل: «كيف أصبحت يا فلان ؟ فقال: أحمد الله إليك يا رسول الله. فقال له ﷺ: ذلك الذي أردته منك»، رواه الطبراني بإسناد حسن.

الثالث عشر: إكرامه ﷺ كرام القوم:

كان رسول ﷺ يكرمُ كريم القوم ويقول: «إذا أتاكم كريمُ قومٍ فأكرموه» رواه ابن ماجه.

وعن جرير بن عبد الله البَجَلي ﷺ قال: «لما بُعث النبي ﷺ أَتَيْتُه فقال: ما جاء بك ؟ قلتُ: جئتُ لأسلم، فألقىٰ إليَّ كساءَه وقال: إذا أتاكم كريمُ قومٍ فأكرموه» رواه الطبراني، وفي رواية البزار: «أتيتُ النبي ﷺ فبسط إليَّ رداءَه وقال: اجلس علىٰ هذا، فقلتُ: أكرمك الله كما أكرمتَني...».

وعن عدي بن حاتم ﷺ: «أنه لما دخل علىٰ النبي ﷺ ألقىٰ إليه وسادةٌ، فقال عَدي: أشهدُ أنك لا تبغي علواً في الأرض ولا فساداً، وأسلم عَدي، ثم قال ﷺ: إذا أتاكم كريمُ قومٍ فأكرموه» رواه العسكري.

الرابع عشر: مباسطته ﷺ لجلسائه واتساعه لهم:

كان رسول الله ﷺ يبسط لجلسائه بساط الانطلاق الشرعي المباح: القال والحال، دون أن يقيضهم بحاله، أو يكبتهم بقاله، فإذا تحدّثوا بأمر شاركهم في حديثهم ما لم يكن إثماً، فعن خارجة بن زيد ﷺ أن نفراً دخلوا علىٰ أبيه زيد بن ثابت ﷺ فقالوا: حدّثنا ببعض حديث النبي ﷺ، فقال: «وما أُحدثكم؟! كنتُ جارّه ﷺ، فكان إذا نزل عليه الوحي بعثَ إليَّ فآتيه، فأكتب الوحي، فكنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا، كل هذا أُحدثكم عنه ﷺ» رواه الترمذي في الشمائل والطبراني بإسناد حسن.

وعن جابر بن سَمُرَة ﷺ: «كان رسول الله ﷺ طويلَ الصمت، قليلَ الضَّحِكِ، وكان أصحابه يذكرون عنده الشعر وأشياءَ من أمورهم ـ في الجاهلية ـ فيضحكون، وربما تبسَّمَ معهم» رواه أحمد.

الخامس عشر: مزاحه ﷺ مع جلسائه وإدخال المسرة عليهم:

كان ﷺ يمزح مع أصحابه لإدخال السرور عليهم؛ ليباسطهم، وليهتدوا بهديه، ويتخلَّقوا بأخلاقه، فلو أنه ﷺ ترك الطلاقة مع أصحابه والمباسطة معهم، ولزم العبوس والانقباض لألزم الصحابة، فمزح ﷺ ليمزحوا، ولكنه ﷺ بينٌ لهم أنه لا يقول في مزاحه إلا حقاً، فلا يأتي بباطل ولا بعبث أو لعب.

فعن أنس ﷺ قال ﷺ: « لست من دَدٍ، ولا الدَّدُ مني» رواه البخاري في الأدب المفرد والبيهقي: أي: لست من أهل اللعب واللهو، ولا هما مني، وفي الطبراني والبزار: «ولستُ من الباطل، ولا الباطل مني».

وعن أنس ﷺ: «إن كان النبي ﷺ ليخالطنا ـ أي: ليلاطفنا ويمازحُنا ـ حتى يقول لأخٍ لي: يا أبا عُمير ما فعل النُّغَيْر ـ أي الطير ـ» رواه الشيخان.

وعن أنس ﷺ: «أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهراً، وكان يُهدي إلى النبي ﷺ هديةً من البادية، فيجهزه النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج إلى البادية، فقال النبي ﷺ: إن زاهراً باديتنا ونحن حاضروه» رواه الترمذي.

وعن عوف بن مالك: «أتيتُ رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وهو في قبة من أَدَم ـ صغيرة ـ فسلَّمتُ فردُ وقال: ادخل، فقلتُ: أكُلِّي يا رسول الله؟ قال: كُلُّكَ، فدخلتُ» رواه أبو داود.

وأما ما ورد في الحديث من النهي عن المزاح، فعن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تُمارَ أَخَاكَ ولا تُمازَحُه، ولا تَعِدُه موعداً فتخلُفه» رواه الترمذي،

فهذا النهي محمولٌ على الإفراط في المزاح، لما في ذلك من الشغل عن ذكر الله تعالى، أو عن التفكير في مهات الدين، ولما فيه من قسوة القلب بكثرة الضحك، بل إن كثرة المزاح تورث العداوة والأذى والحقد، وجراءة الصغير على الكبير.

قال عمر ﷺ: «مَنْ كَثُرَ ضحكه قلَّت هيبته، ومَن مزح استُخِفَّ به»: أي بأن أكثر المزاح.

وأما مزاح الرجل مع أهله وملاطفتهم بأنواع الملاطفة: فمطلوب ومحبوب، وهو من أخلاق النبيين، ومن شعار المؤمنين، قال عمر ﷺ: «ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبيّ، فإذا التَّمِس ما عنده وُجِدَ رجلًا».

السادس عشر: تبسمه ﷺ حين يلقى أصحابه وحين يحدثهم:

كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يتبسَّم في وجوه أصحابه حين يلقاهم، وفي حديثه إليهم، تلطّفاً بهم ومؤانسة لهم.

فعن جرير بن عبد الله ﷺ: «ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلاّ تبسَّم» رواه الترمذي.

وعن أم الدرداء رضي الله عنها: «كان أبو الدرداء إذا حدّث حديثاً تبسَّم، فقلت: لا يقول الناس: إنك أحمق! ـ أي: بسبب تبسمك في كلامك ـ، فقال أبو الدرداء: ما رأيتُ أو سمعتُ رسول الله ﷺ يحدّثُ حديثاً إلاّ تبسَّم، فكان أبو الدرداء إذا حدّث حديثاً تبسَّم، اتباعاً لرسول الله ﷺ في ذلك» رواه أحمد.

السابع عشر: ملاطفته ﷺ للصبيان وملاعبته لهم:

فعن عبد الله بن الحارث ﷺ: «كان رسول الله ﷺ يصفُ عبد الله وعبيد الله وكثير بني العباس ثم يقول: مَن سَبَقَ إِليه فله كذا وكذا، قال: فيسبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره ﷺ، فيقبلهم ويلتزمهم» رواه أحمد بإسناد حسن.

وعن أنس ﷺ: «كان رسول الله ﷺ يزور الأنصار، ويسلم على صبيانهم، ويمسح رؤوسهم» في زوائد ابن حبان.

الثامن عشر: كمال لطفه ﷺ وشدة اهتمامه بمن يسأله عن أمور الدين من الرجال والنساء:

فعن أبي رفاعة ﷺ: «انتهيتُ إلى النبي ﷺ وهو يخطب، فقلتُ: يا رسول الله، رجل غريب جاء يسأل عن دينه، لا يدري ما دينُه؟ قال: فأقبل عليّ رسول الله ﷺ وترك خطبته حتى انتهى إليّ، فأتيَ بكرسي صُبّتْ قوائمه حديداً، فقعد عليه رسولُ الله ﷺ وجعل يعلمني مما علّمه الله ثمّ أتى خطبته، فأتمّ آخرها» رواه مسلم.

التاسع عشر: مكافأته ﷺ الإكرام بأفضل إكرام:

فعن أبي قتادة ﷺ: «وَفَدَ وَفْدُ النَّجَاشِي على النبي ﷺ فقام النبي ﷺ يخدِمُهُم، فقال له أصحابُه: نحن نكفيك ـ أي نكفيك القيام بضيافتهم وإكرامهم ـ، فقال ﷺ: إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين، وأنا أُحِبُّ أن أُكافِئهم» رواه البيهقي في الدلائل وابن إسحاق.

العشرون: مقابلته ﷺ الإحسان بأجمل إحسان:

كان سيدنا رسول الله ﷺ لا يُضيع الإحسان، ولا ينكر الجميل والمعروف لإنسان، مَن عمل معه معروفاً، أو صنع معه جميلاً، يذكره له، ويقابله بما هو أحسن وأكرم وأجمل، فعن عَمْرِو بن أخطب الأنصاري ﷺ: «استسقى رسول الله ﷺ ـ أي: طلب ماءً ليشرب منه - فأتيتُه بقدح فيه ماء، فكانتْ فيه شعرةً فأخذتُها ـ أي: أزالها من القدح ـ فقال ﷺ مقابلًا لصنعه الجميل: اللهم جمله، قال الراوي:

فرأيتُ عمرًا وهو ابن تسعين سنة، وليس في لحيته شعرة بيضاء» رواه أحمد والطبراني وإسناده حسن.

الحادي والعشرون: تفقده ﷺ أصحابه:

فعن هند بن أبي هالة، في حديثه يصفُ النبي ﷺ، وفيه: «كان ﷺ يتفقَّد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس» رواه الترمذي، والمعنى أنه كان يسأل عنهم حال غيبتهم عنه.

وعن أنس ﷺ: «أنَّ النبي ﷺ كان إذا فَقَدَ الرجل من إخوانه ثلاثةَ أيام سأل عنه، فإن كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً ـ أي حاضراً في البلد ـ زاره، وإن كان مريضاً عاده» رواه أبو يعلى.

الثاني والعشرون: حفظه ﷺ للودّ واحتفاظه بالعهد:

قال الله تعالى: ﴿وَلا تَنْسَوُا الفضْلَ بينكم إنَّ اللهَ بما تعملونَ بِصِيرٍ﴾.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غِرْتُ على امرأةٍ ما غِرْتُ على خديجة، ولقد هلكت ـ أي: ماتت ـ قبل أن يتزوّجني رسولُ الله ﷺ بثلاث سنين، لما كنتُ أسمعُه يذكرها ـ أي: يثني عليها خيراً ـ ولقد أمره ربُّه أن يبشرَها ببيتٍ في الجنّة من قَصَب، وإن كان أي: وإنه كان ﷺ ـ ليذبح الشاةَ ثمّ يُهدي في خُلّتها منها ـ أي: يُهدي من لحم الشاة إلى صديقات خديجة وخليلاتها من النساء، إكراماً للسيدة خديجة وحفظَ ودٍّ، وحسنَ عهدٍ معها» رواه البخاري.

الثالث والعشرون: زياراته الكريمة ﷺ لأصحابه:

كان رسول الله ﷺ يزورُ أصحابه ليُكرِمَهم بذلك، وليُدخِلَ السرورَ عليهم، ولينفعهم بإرشاداته وتعاليمه، فعن عبد الله بن قيس ﷺ: «أنّ رسول الله

ﷺ كان يُكثر زيارة الأنصار، خاصّةً وعامّةً، فكان إذا زار خاصةً أتىٰ الرجلَ في منزله، وإذا زار عامّةً أتىٰ المسجد» رواه أحمد.

وعن أنس ﷺ: «كان رسول الله ﷺ يزور الأنصار، ويسلّم علىٰ صبيانهم، ويمسح رؤوسهم» رواه الترمذي والنسائي.

الرابع والعشرون: زياراته ﷺ لضعفاء المسلمين عامة ولأهل الصفة خاصة:

كان رسول الله ﷺ يزور ضعفاء المسلمين، ويلاطفهم ويؤنسهم، ويجلس معهم، ويعود مرضاهم، ويحضر جنائزهم، وفي هذا تكريم لهم، وتبريك عليهم، ومواساة وإحسان إليهم، ليشعروا بعزتهم وكرامتهم وسعادتهم.

فعن سهل بن حُنيف ﷺ: «كان رسول الله ﷺ يأتي ضعفاء المسلمين، ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم» رواه الطبراني وأبو يعلىٰ والحاكم.

وكانت صُفّة المسجد النبوي مدرسةً للقرّاء، يأوي إليها فقراء الصحابة، ممن لا أهل لهم، فيتدارسون القرآن ويتعلمون أمور الدين وأحكامه، ثم يذهبون في نواحي البلاد، ومختلف الآفاق فيعلّمون الناس ذلك.

الخامس والعشرون: تفقده ﷺ أصحابه في الليل واستماعه إلى قراءتهم:

فعن أبي موسىٰ ﷺ قال ﷺ: «إني لأعرف أصواتَ رُفقة الأشعريين بالليل حين يدخل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإنْ كنتُ لم أرَ منازلهم حين نزلوا بالنهار» رواه الشيخان.

السادس والعشرون: ملاطفته ﷺ لجفاة الأعراب لئلا يفتتنوا:

كان رسول الله ﷺ يتحمّلُ جفوةَ الأعرابي ويلاطفه، ويقابل غِلْظَتَه بلطيف المقال والحال، وذلك لتثبيته، أو من أجل أن لا يفتتن، ويسلكُ بهم مسالك الرحمة واللين والتؤدة، لئلا ينفروا أو يشردوا.

فعن أنس رضي الله عنه قال: مشيتُ مع رسول الله ﷺ وعليه بُرْدٌ ـ أي: ثوب ـ نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فَجُبَذَهُ ـ أي: جذب الثوب ـ جَبْذَةً شديدة، حتىٰ نظرت إلىٰ صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثّر فيه ـ أي: في عنقه ـ حاشية البرد، من شدة جذبه، ثم قال ـ الأعرابي ـ يا محمد: مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه النبي ﷺ وضحك، ثم أمر له بعطاء !» رواه الشيخان.

السادس والعشرون: اهتمامه ﷺ بأهله[1]:

هذه الرحمة المهداة الممثلة بحضرة النبي ﷺ عمَّت كافة البلاد وانتفعوا بها، فكان لها أثرها الطيب عند جميع الناس، فلم يبخل ﷺ بهذا العطاء علىٰ أهل بيته من أزواجه وبناته، ونقف علىٰ شذرات من ذلك تُبيِّن لنا الحالة التي كان عليه رسول الله ﷺ حتىٰ نقتبس منها في حياتنا، ومن ذلك:

1 .مراعاة الأهل في المرض، فعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ إذا أخذ أهله الوعك أمر بالحساء، فصنع ثم أمرهم فحسوا، وكان يقول: إنه ليرتو فؤاد الحزين ويسرو عن فؤاد السقيم كما تسروا إحداكن الوسخ بالماء عن وجهها» رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم، وصححه السيوطي.

(1) مستفادة من الجامع الصغير للسيوطي مع شرح للمناوي.

2. يقرع بين أزواجه في السفر، فعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه» رواه أبو داود وابن ماجة وصححه السيوطي.

3. تأديب أهله، فعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ إذا اطلع على أحد من أهل بيته كذب كذبة لم يزل معرضاً عنه حتى يحدث توبة» رواه أحمد والحاكم وصححه السيوطي.

4. مسامرة زوجاته، فعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ إذا خلا بنسائه ألين الناس وأكرم الناس ضحاكاً بساماً» رواه ابن سعد وابن عساكر وضعفه السيوطي.

5. بره صديقات خديجة رضي الله عنها، فعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ إذا ذبح الشاة يقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة» رواه مسلم.

6. تقبل فاطمة على رأسها، فعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ كثيراً ما يقبل عرف ـ أي أعلى الرأس ـ فاطمة» رواه ابن عساكر.

7. يغتسل مع أهله، فعن أنس رضي الله عنه: «كان يغتسل هو والمرأة من نسائه من إناء واحد» رواه البخاري.

8. يعدل بين أزواجه، فعن عائشة رضي الله عنها: «كان يقسم بين نسائه فيعدل، وهو يقول اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» رواه أصحاب السنن وصححه السيوطي: أي لا يفضل بعضهن على بعض في مكثه حتى أنه كان يحمل في ثوب، فيطاف به عليهن فيقسم بينهن، وهو مريض.

9. يقبل أزواجه، فعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ يمص اللسان» رواه الترقفي في جزئه وضعفه السيوطي: أي يمص لسان حلائله.

المطلب الرابع
أخلاقه ﷺ

أولاً: عظيم وفائه ﷺ بالوعد:

كان رسول الله ﷺ صادق الوعد، يفي بوعده وإن شَقَّ ذلك عليه، فعن عبد الله بن أبي الحَمْسَاء رضي الله عنه: «بايعتُ النبي ﷺ ببيع قبل أن يُبعث، وبقيتُ له بقيّة، فوعدتُه أن آتيه بها في مكان، فنسيتُ، ثم ذكرتُ بعد ثلاث، فجئتُ فإذا هو ﷺ في مكانه، فقال: يا فتى لقد شَقَّقْتَ عليّ! أنا ها هنا منذ ثلاثٍ أنتظرك» رواه أبو داود.

ثانياً: كمال تواضعه ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿واخفِضْ جناحَك لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، كان رسول الله ﷺ له المثل الأكمل في التواضع مع علوِّ مقامه، وشرف جنابه، ويتجلَّى تواضعه ﷺ في سائر أحواله الخاصة والعامة، وأموره الخارجية، والداخلية البيتيَّة.

فكان من تواضعه ﷺ:

1. **أن يخدم نفسه بنفسه:** فعن عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يَخِيط ثوبه ويخصّفُ نعله، ويعملُ ما يعملُ الرجال في بيوتهم» رواه أحمد. وفي رواية: «ويرْفَعُ دلوه، ويَقْلِي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه ﷺ» رواه أحمد وابن حبان وصححه وابن سعد.

2. **أنه كان يركب الحمار، ولا يخص نفسه بركوب الخيل،** كما هو عادة الملوك والأمراء: فعن أنس رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ يعود المرضى، ويشهدُ الجنائز، ويركب الحمار، ويجيب دعوة العبد، وكان يوم بني قُرَيْظة على حمار، محطوم بحبل من ليف، وعليه إكاف من ليف» رواه الترمذي.

3. **أنه كان يُردِف وراءه بعض نسائه:** فعن أنس ﷺ: «أقبلنا مع رسول الله ﷺ من خيبر، وإني لرديف أبي طلحة وهو يسيرُ وبعضُ نساء رسول الله ﷺ رديفٌ رسول الله ﷺ إذ عثرَت الناقة، فقلتُ: المرأة ـ أي وقعت المرأة أدعينونا ـ فنزلتُ، فقال رسول الله ﷺ: إنها أمُكم، فشددت الرحل، وركب رسول الله ﷺ، فلما دنا ـ أي رأىٰ المدينة ـ قال: آيبون تائبون عابدون، لربَّنا حامدون» رواه البخاري.

بل كان يردف خلفه بعض أصحابه، وصبيان أصحابه، ولا يستنكف من ذلك كما تأنف الكبار والأمراء، فعن ابن عباس ﷺ: «أتىٰ رسولُ الله ﷺ مكة وقد حمل قُثَمَ ـ ابن العباس ـ بين يديه، والفضل أخاه ـ خلفه ﷺ» رواه البخاري.

4. **يشرب ﷺ مما يشرب الناس:** فعن ابن عباس ﷺ في حجة النبي ﷺ: « أن النبي ﷺ أتىٰ السُّقَاية فقال: اسقوني، فقالوا: إن هذا يخوضه الناس، ولكنا نأتيك به من البيت، فقال: لا حاجة لي فيه، اسقوني ممّا يشرب الناس...» رواه أحمد.

5. **طلبه ﷺ الدعاء من غيره:** فعن عمر ﷺ: «استأذن رسول الله ﷺ في العمرة، فأذن له وقال له: يا أخي يا عمر أَشْرِكني بدعائك» وفي رواية: «لا تنسني من دعائك» رواه الترمذي وأبو داود.

6. **تواضعه صلى الله عليه وسلم واختياره أن يكون نبياً عبداً لا نبياً ملكاً:**

إنَّ من أعظم ما يدلُّ علىٰ تواضعه ﷺ: أنه لما خيَّره الله تعالىٰ بين أن يكون نبياً عبداً، أو نبياً ملكاً، اختار العبدية تواضعاً لله تعالىٰ.

فعن ابن عباس ﷺ: «كان رسول الله ﷺ ذات يوم وجبريلُ ﷺ على الصفا، فقال ﷺ: يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمدٍ سَفَّة من دقيق، ولا كَف من سَويق، فلم يكن كلامُه بأسرع من أن سمع هَدَّة من السماء أفزعته، فقال رسول الله ﷺ: « أمرَ الله القيامة أن تقوم؟ فقال جبريل: لا، ولكن أمرَ إسرائيل فنزل إليك حين سمع كلامك، فأتاه إسرائيل فقال: إنَّ الله تعالى سمع ما ذكرت، فبعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض، وأمرني أن أُغْرِض عليك أن أسير معك جبال تِهَامة زُمُرُّداً وياقوتاً وذهباً وفضَّة! فإن شئتَ نبياً مَلِكاً، وإن شئتَ نبيّاً عبداً؟ فأومأ إليه جبريل أن تواضع، فقال ﷺ: « بل نبيّا عبداً » ثلاثاً» رواه الطبراني بإسناد حسن.

وكل هذا كان امتثالاً لما كان يأمر ﷺ به غيره من التواضع، فعن عياض بن حمار ﷺ قال ﷺ: «وإنَّ الله تعالى أوحى إليَّ أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحدٌ على أحد، ولا يبغي أحدٌ على أحد» رواه مسلم.

ثالثاً: عظيم حلمه ﷺ وعفوه:

قال الله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، وقال سبحانه: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، كان ﷺ عظيمَ الحُلُم، لا يُقابل السيئة بالسيئة، بل يعفو ويغفر، وما انتقم لنفسه من شيءٍ قط، إلا أن تُنتهك حرمةُ الله، فينتقم الله تعالى.

فعن عائشة رضي الله عنها: «ما خُيِّر رسولُ الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرَهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسولُ الله ﷺ لنفسِه إلا أن تُنتهك حرمةُ الله، فينتقم الله» رواه الشيخان.

ثالثاً: عظيم حيائه ﷺ:

كان رسول الله ﷺ أعظم الناس حياء؛ لأنه أعظمُهم إيماناً، وقد قال ﷺ: «الحياء من الإيمان» رواه الترمذي وصححه، وعن أبي سعيد الخدري ﷺ: «كان رسول الله ﷺ أشدّ حياءً من العذراء في خِدْرها» رواه الشيخان.

ومن المعلوم أن المرأة العذراء، وهي البكر المستترة في خدرها أي: في ناحية بيتها أو خيمتها تكون شديدة الحياء، فلقد كان رسول الله ﷺ أشد حياء منها.

والحياء خُلُق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق، ولذلك قال ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير» رواه البخاري.

وقد بلغ من حياته ﷺ أنه لم يواجه أحداً بما يكرهه، بل يعرّض بذلك، أو يأمر بعض الصحابة من يصارح بذلك الرجل المقصّر: فعن أنس ﷺ: «كان رسول الله ﷺ لا يواجه أحداً في وجهه بشيء يكرهه، فدخل عليه يوماً رجل وعليه أثر صُفرة، فلما قام قال لأصحابه: لو أمرتم هذا أن يغسل هذه الصفرة » رواه أبو داود والترمذي.

وعن عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن الرجل شيء لم يقل ما بال فلان، ولكن يقول: ما بال أقوامٍ يقولون كذا وكذا» ورواه أبو داود.

وعن عائشة: «ما رأيت فرج رسول الله ﷺ» رواه الترمذي في الشمائل، وذلك لشدة حياته وكمال وقاره ﷺ وتسترهُّه كل التستّر.

وعن ابن عباس ﷺ: «كان رسول الله ﷺ يغتسل من وراء الحجرات، وما رأى أحد عورته قطُّ» رواه البزار، وإسناده حسن.

وبهذا يعلم العاقل يقينًا أن سيدنا محمدًا ﷺ قد نال أكمل مراتب الحياء وأعلاها.

رابعاً: عظيم غضبه ﷺ لحرمات الله تعالى:

كان ﷺ يغضب لله تعالىٰ ويرضى لرضاه، لم يكن تغضبه الدنيا ولا ما كان لها، ولم يكن يغضب لنفسه، بل كان يغضبُ لربّه تعالىٰ، فعن هند بن أبي هالة: «لا تغضبه ﷺ الدنيا وما كان لها؛ فإذا تُعُرِضُ للحق لم يعرفْه أحد، ولم يُقُمْ لغضبه شيء حتىٰ ينتصرّ له، لا يغضبُ لنفسه، ولا ينتصرُ لها...» رواه الترمذي.

ومن استقرأ الأسباب التي كان يغضب من أجلها ﷺ يجدها كلّها ترجعُ إلىٰ أن ذلك كلّه كان لله تعالىٰ، ومن أمر الله تعالىٰ، وانتصاراً لدين الله تعالىٰ، وانتصاراً للحقّ الذي شرعه الله تعالىٰ.

فمن ذلك: غضبه ﷺ حين رأىٰ في البيت قِراماً فيه الصور، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليّ النبي ﷺ وفي البيت قِرام ـ أي: سِتر ـ فيه صور، فتلوّن وجهه ﷺ ـ أي: من الغضب ـ ثم تناول السّتر فهتكه، قالت: وقال النبي ﷺ: من أَشَدِّ الناسِ عذاباً يومَ القيامة الذين يُصَوِّرُونَ هذه الصُّرور» رواه الشيخان.

وغضبه ﷺ «لما رأىٰ النخامة في قِبلة المسجد» رواه الشيخان، وذلك لأنَّ المساجد ينبغي أن يحرص المسلم علىٰ نظافتها وكرامتها، ولا يجوز إلقاء الوسخ فيها والنخامة.

خامساً: عظيم كرمه ﷺ:

فعن أنس رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وأجودَ الناس، وأشجعَ الناس» رواه الشيخان، وهذه الأوصاف الثلاثة هي من أُمّهات الكمالات فهو ﷺ أحسنُ، الناس صورةً ومعنىً، وجمالاً وكمالاً، وهو أشجعُ

الناس قلباً، وهو أجودُ الناس، وأنفعُهم للناس، وهذا الجود الذي اتّصفَ به ﷺ إنما هو لله تعالى، وفي الله تعالى، وابتغاء مرضاة الله تعالى.

سادساً : عظيم شجاعته ﷺ:

فعن علي ﷺ: «كان رسول الله ﷺ أجودَ الناس صدراً، وأشجعَهم قلباً، وأصدقَهم لهجةً، وألينَهم عريكةً، وأكرمَهم عِشْرةً» رواه الترمذي.

سابعاً: عظيم مهابته ﷺ وفخامته الكريمة:

كان رسول الله ﷺ عظيمَ المهابة، قد توَّجَهُ الله تعالى تاج العزَّة والكرامة، وكساه حلَّة الفخامة: فعن هند بن أبي هالة: «كان رسول الله ﷺ فخماً مفخَّماً يتلألأ وجهه ﷺ تلألأ القمر ليلة البدر» رواه الترمذي.

وقد كان الصحابة ﷺ لا يستطيعون إمعان النظر فيه؛ لقوة مهابته ومزيد وقاره، ومن ثمَّ لم يَصِفْه إلا صغارهم، أو من كان في تربيته قبل النبوة، كهند بن أبي هالة وسيدنا علي ﷺ.

ويدلُّك على ذلك ما روي عن ابن عمرو ﷺ: «صحبت رسول الله ﷺ صحبة طويلة، وسمعت منه أحاديث كثيرة، وحفظت عنه ألف مَثَلٍ، ومع ذلك ما ملأت عينيَّ منه قطُّ، حياءً منه وتعظيماً له، ولو قيل لي صفةٌ: لما قدرتُ» رواه مسلم.

ومن عظيم مهابته وكمال وقاره: كان من جلس إليه ﷺ هابه، وربما أخذته رعدة شديدة، من قوة الهيبة المحمدية، ولذلك كان ﷺ يُباسطهم ويلاطفهم ليسكن رُوْعهم: فعن أبي مسعود البدري ﷺ: «جاء رجل فقام بين يدي النبي ﷺ، فأخذته رعدة شديدة ومهابة. فقال له النبي ﷺ: « هوِّن عليك، فأنا لستُ بملك ولا جبار، وإنما أنا ابن امرأة من قريش، كانت تأكل القديد بمكة، فنطق

الرجل بحاجته فقام النبي ﷺ فقال: « يا أيها الناس إني أوحي إليَّ أنْ تواضعوا، ألا فتواضعوا حتىٰ لا يبغي أحد علىٰ أحد، ولا يفخر أحد، وكونوا ـ عباد الله ـ إخواناً » رواه ابن ماجه والحاكم.

ثامناً: عظيم صبره ﷺ على أذى المشركين وتحمله الشدائد في سبيل الله تعالى:

قال الله تعالىٰ: ﴿فاصبرْ كما صبرَ أُولُوا العزْمِ من الرُّسُل ولا تستعجِلْ لهم..﴾ الآية، كان صبرُه ﷺ في سبيل الله تعالىٰ يفوقُ صبرَ الصابرين، وتحَمُّله لأنواعٍ أخرىٰ المعاندين له يعلو تحمُّل العالمين، فكم لقي من سفهاء قريشٍ وأشْذَائهم من الغلظة والسفاهة والجفاء والشدّة؟! ولا ريب أنّ الكلامَ البذيء المسيء له كِلام في أصحاب النفوس الأبيّة، والأخلاق الرضيّة، ويتأثرون به أضعافَ ما يتأثر به غيرهم، وإنّ الأفعال المؤذية لتعملُ في نفوسهم أضعافَ ما تعملُ في غيرهم، ممن لا خلاق له ولا خُلُق؛ فما ظنّك بنفسية سيدنا رسول الله ﷺ التي هي مجمع الكمال والأفضال ومصدرها؟! وما ظنّك بتأثره من الكلام المؤذي، والفعل المسيء إليه.

فعن أنس رضي الله عنه قال ﷺ: «لقد أُخِفْتُ في الله وما يُخاف أحد، ولقد أُوذيتُ في الله وما يؤذىٰ أحد، ولقد أتتْ عليّ ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال طعامٌ يأكلُه ذو كبِدٍ إلاّ شيءٌ يواريه إبط بلال» رواه أحمد والترمذي.

تاسعاً: عظيم عدله ﷺ:

كان رسولُ الله ﷺ أعدلَ خلقِ الله تعالىٰ في حقوق الله تعالىٰ، وفي حقوقِ عباد الله تعالىٰ، قَوَّاماً بالقسط، منتصراً للحق حيث كان، فعن عروة رضي الله عنه: «أنّ امرأة سرقتْ في عهدِ رسول الله ﷺ في غزوة الفتح، ففزع قومُها إلىٰ أسامة بن زيد رضي الله عنه

يستشفعونه. قال عروة: فلما كلّمه أسامة فيها تلوّن وجه رسول الله ﷺ ـ أي: من شدة الغضب ـ وقال ـ لأسامة ـ: « أتكلّمني في حدّ من حدود الله تعالىٰ ؟!، فقال أسامة: استغفِرْ لي يا رسول الله، فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ خطيباً فأثنىٰ علىٰ الله بما هو أهله ثم قال: « أما بعد: فإنما هلك الناس ـ أي: قبلكم في الأمم الماضية ـ أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ! والذي نفسي بيده لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقتْ لقطعتُ يدها، ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة فقُطعت يدُها، فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوّجت، قالت عائشة رضي الله عنها: كانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلىٰ رسول الله ﷺ» رواه الشيخان.

عاشراً: عظيم رحمته للعالَم ﷺ:

قال الله تعالىٰ: {وما أرسلناكَ إلَّا رحمةً للعالمين}، فهو ﷺ رسول الرحمة الذي أرسله الله تعالىٰ رحمةً لجميع العالمين: رحمة للمؤمنين، ورحمة للكافرين، ورحمة للمنافقين، ورحمة لجميع بني الإنسان: الرجال والنساء والصبيان، ورحمة للطير والحيوان؛ فهو رحمةٌ عامة لجميع خلق الله تعالىٰ.

وإن من تدبر قوله تعالىٰ: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ وتفكر في معاني هذه الآية الكريمة يتّضح له جليّاً أن جميع ما جاءت به الرسالة المحمدية، وجميع ما اشتملت عليه، من أوامر ومناهي، وعبادات ومعاملات، وآداب وأخلاق، وحقوق وواجبات، كل ذلك مبني علىٰ أساس الرحمة للعباد، بل وما جاءت به الرسالة المحمدية من العقوبات الشرعية وهي القصاص والحدود والتعزير!.

كل ذلك إنما هو رحمة للعالمين، ورحمة للبلاد والعباد، لأن في ذلك إيقافاً للمفسد عن التوغل في الفساد، ومنعاً لفساده من أن يستشري لغيره، فإن عضو جسم الإنسان إذا فسد فمن الرحمة أن يُبترَ لئلا يستشري الفساد ويتعداه لغيره، وكذلك فإن المجتمع كلّه يعتبر من هذه الناحية كالجسم الواحد في نظر الشرع، وتفصيل ذلك ليس موضعه هنا.

ومن صور رحمته ﷺ:

1. رحمته للمؤمنين:

فبهدايتهم إلى سعادة الدنيا والآخرة، وباهتنامه بما يُصلح لهم أمر دينهم ودنياهم، وتحذيره إياهم مما يفسد عليهم أمر الدنيا والآخرة رأفةٌ ورحمةٌ بهم، كما قال الله تعالى: ﴿بالمؤمنينَ رؤوفٌ رحيم﴾، والرأفة تقتضي إبعاد كل شر وفساد وضرر، والرحمة تقتضي جلب كل خير وصلاح ونفع.

ولقد أقامه الله تعالى في رأفته ورحمته للمؤمنين: أنه أولى بهم من أنفسهم، قال تعالى: ﴿النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾، الآية ـ يعني أنه ﷺ أرأفُ بهم وأعطَفُ عليهم وأنفع لهم من أنفسهم، ولذلك كان أحقُّ بهم من كل شيءٍ من أمور الدين والدنيا، وحكمُه أنفذ عليهم من حكم أنفسهم، فعليهم أن يبذلوها دونه، ويجعلوها فداءه ﷺ.

ولذا كان ﷺ يُعلن هذه الأولوية في خُطَبه ومجتمعاته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «ما من مؤمنٍ إلَّا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم: ﴿النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ فأيما مؤمنٍ تركَ مالًا فلترثْه عصبتهُ ما كانوا، وإن تركَ دَيْنًا أو ضياعًا أو عيالًا فليأتني، فأنا مولاه» رواه البخاري.

2. رحمته ﷺ بالأهل والعيال:

فما كان ﷺ من جبابرة الرجال، بل كثيراً ما كان يخدم نفسَه بنفسِه ﷺ: فعن عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ يُخيطُ ثوبَه، ويخصِفُ نعلَه، ويعمل ما يعمل الرجالُ في بيوتهم» رواه أحمد.

3. رحمته ﷺ بالصبيان:

فعن أنس ﷺ قال ﷺ: «إني لأدخلُ في الصلاة أُريد إطالتَها، فأسمع بكاءَ الصبيِّ فأُتجوَّز في صلاتي، مما أعلم من شدة وَجْد أمه» رواه الشيخان.

ومن رحمته ﷺ بالصبيان: أنه كان يمسح رؤوسَهم ويُقبلهم: فعن عائشة رضي الله عنها: «قبل رسول الله ﷺ الحسن والحسين ابني عليّ، وعنده الأقرع بن حابس التميميُّ، فقال الأقرع: إن لي عشرةَ ما قبَّلتُ منهم أحداً قط !. فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: مَنْ لا يُرحم لا يُرحَم » رواه الشيخان.

4. رحمته ببكائه لثقل مرض بعض أصحابه وموتهم:

فعن ابن عمر ﷺ: «أن رسول الله ﷺ عاد سعد بن عبادة ومعه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود ﷺ، فبكى رسول الله ﷺ، فلما رأى القومُ بكاءَ رسول الله ﷺ بَكَوْا، فقال: ألا تسمعون؟ إنَّ الله لا يعذِّب بدمع العين، ولا بحزنِ القلب، ولكن يعذِّبُ بهذا أو يرحم وأشار إلى لسانه » رواه الشيخان ».

وعن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ قُبِلَ عثمان بن مظعون وهو ميت، وهو ﷺ يبكي» رواه الترمذي.

5. رحمته ﷺ باليتيم:

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا اليتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾، كان ﷺ يُحْسِنُ إلى اليتامى، ويَبرُهم، ويوصي بكفالتهم والإحسانِ إليهم، وبين الفضائل المرتبة على ذلك.

فعن سهل بن سعد ﷺ قال ﷺ: «أنا وكافِلُ اليتيمِ في الجَنَّةِ هكذا، وأشار بالسبَّابة والوسطىٰ وفرَّج بينها» رواه البخاري.

وعن أبي هريرة ﷺ قال ﷺ: «خيرُ بيتٍ من المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يُحْسِنُ إليه، وشرُّ بيتٍ من المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يُساءُ إليه» رواه ابنُ ماجه.

وعن أنس ﷺ قال ﷺ: «الساعي علىٰ الأرملة والمسكين ـ أي: الذي يسعىٰ فيها ينفع الأرملة والمسكين ـ كالمجاهد في سبيل الله ـ وأحسبه قال: وكالقائم لا يُفْتُر، وكالصائم لا يُفْطر» رواه الشيخان.

6. رحمته ﷺ بالحيوان:

كان ﷺ يوصي بالرحمة بالحيوان، وينهي صاحبَه أن يُجيعَه ويتعبَه، بإدامة الحمل عليه، أو إثقاله، أو يحسُه بما فيه نوع من التعذيب له، فعن سهل بن الحنظلية ﷺ: «مَرَّ رسولُ الله ﷺ ببعيرٍ قد لحقَ ظهرُه ببطنه ـ أي: صَمُر من شَدَّة الجوع ـ فقال ﷺ: اتقوا الله في هذه البهائم، فاركبوها صالحةً، وكلوها صالحةً» رواه أبو داود وابن خزيمة.

فكان ﷺ ينهىٰ عن إجاعة الحيوان وإتعابه، إمّا بكثرة العمل عليه، أو تحميله فوق طاقتِه، كما كان ﷺ ينهىٰ عن إرهاق الحيوان بإيقافه وإطالة الجلوس عليه من غير ضرورة إلىٰ ذلك:

فعن أنس ﷺ: «أن النبي ﷺ دخل علىٰ قومٍ وهم وقوفٌ علىٰ دوابٍّ لهم ورواحل، فقال لهم: اركبوها سالمة ودَعُوها سالمة، ولا تتخذوها كراسيّ لأحاديثكم في الطرق والأسواق، فربَّ مركوبةٍ خيرٌ من راكبِها، وأكثرُ ذكراً لله منه» رواه أحمد.

وعن ابن عمر ﷺ قال ﷺ: «دخلت امرأةُ النارَ في هرَّةٍ ربطتْها، فلم تُطعِمْها ولم تدعْها تأكلُ من خشاش الأرض» رواه البخاري.

كما وأنه ﷺ نهى عن تسليط الحيوانات بعضها على بعض بالأذى، وتهييجها بالإفساد: فعن ابن عباس ﷺ: «نهى رسول الله ﷺ عن التحريش بين البهائم» رواه أبو داود والترمذي.

7. رحمته ﷺ بالطيور:

كان رسولُ الله ﷺ يحذّر من أن يُفجِعَ الإنسانُ الطيورَ بأولادها، وذلك من باب الرحمة: فعن أبي مسعود ﷺ قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ فانطلق لحاجتِه، فرأينا حُمرة معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحُمرة فجعلت تُعرش، فجاء النبي ﷺ فقال: مَنْ فجع هذه بولديها ؟ رُدُّوا ولديها إليها» رواه أبو داود.

كما وأنه ﷺ حذّر من قتل الطير عبثاً، لا لمنفعة أكل ونحوه: فعن الشريد ﷺ قال ﷺ: «مَنْ قتل عصفوراً عجَّ ـ أي: شكا إلى الله تعالى بصوت عال ـ إلى الله يوم القيامة، يقول: يا ربِّ إنَّ فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعةً» رواه النسائي وابن حبان.

الحادي عشر: تتمة في أخلاقه ﷺ[1]:

لا شك أن الكلام عن أخلاقه ﷺ لا ينتهي، وإنما نقتصر على ذكر بعض روايات وردت فيها:

---

(1) مستفادة من الجامع الصغير للسيوطي مع شرح للمناوي.

1. أصبر الناس، فعن إسماعيل بن عياش ﷺ: «كان ﷺ أصبر الناس على أقذار الناس» رواه ابن سعد مرسلاً وصححه السيوطي: كان أصبر الناس أي أكثرهم صبراً على أقذار الناس: أي ما يكون من قبيح فعلهم وسيء قولهم؛ لأنه لانشراح صدره يتسع لما تضيق عنه صدور العامة، فكانت مساوئ أخلاقهم ومدانئ أفعالهم وسوء مسيرهم وقبح سيرتهم في جنب سعة صدره.

2. وضوح كلامه، فعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ كلامه كلاماً فصلاً يفهمه كل من سمعه» رواه أبو داود وصححه السيوطي: أي كان كلامه كلاماً فصلاً: أي فاصلاً بين الحق والباطل وآثره عليه؛ لأنه أبلغ أو مفصولاً عن الباطل أو مصوناً عنه، فليس في كلامه باطل أصلاً أو مختصاً أو متميزاً في الدلالة على معناه، وحاصله أنه بَيِّن المعنى لا يلتبس على أحد، بل يفهمه كل من سمعه من العرب وغيرهم لظهوره وتفاصيل حروفه وكلماته واقتداره لكمال فصاحته على إيضاح الكلام وتبيينه.

3. يبغض الكذب، فعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ أبغض الخلق إليه الكذب» رواه البيهقي في الشعب، وحسنه السيوطي: كان أبغض الخلق: أي أبغض أعمال الخلق إليه الكذب لكثرة ضرره وجموم ما يترتب عليه من المفاسد والفتن، وكان لا يقول في الرضى والغضب إلا الحق.

4. براءته من الكبر، فعن ابن عباس ﷺ: «كان ﷺ لا يُدفع عنه الناس ولا يُضربوا عنه» رواه الطبراني في الكبير وضعفه السيوطي، وذلك لشدة تواضعه وبراءته من الكبر والتعاظم الذي هو من شأن الملوك وأتباعهم.

المطلب الخامس

آدابه ﷺ

أولاً: آدابه ﷺ إذا دخل منزله:

قال الحسين رضي الله عنه: فسألت علياً ﷺ عن دخول رسول الله ﷺ؟ فقال: «كان ﷺ إذا أوىٰ إلىٰ منزله جزًا دخوله ثلاثة أجزاء: جزءاً لله وجزءاً لأهله وجزءاً لنفسه، ثم جزًا جزأه بينه وبين الناس، فيردُ ذلك بالخاصّة علىٰ العامّة، ولا يدّخر عنهم شيئاً، وكان من سيرته في جزء الأمة إيثارُ أهل الفضل بإذنه، وقسمُه علىٰ قدْرِ فضلهم في الدّين» رواه البيهقي في شعب الإيمان3: 24، والمعنىٰ: أنه ﷺ لا يُخفي ولا يمنع عن الناس: عامتهم وخاصمتهم، شيئاً مما ينفعهم في دينهم ودنياهم، بل يقدّم جميع ذلك لهم.

ثانياً: آدابه ﷺ إذا خرج من منزله وبرز للناس:

قال الحسين ﷺ: فسألت علياً ﷺ عن مخرجه، كيف كان يصنع فيه؟ قال: «كان رسول الله ﷺ يَخْزُنُ لسانَهَ إِلَّا فيما يعنيه، ويؤلِّفهم ولا ينفِّرهم، ويُكرِم كريم كلِّ قوم ويولِّيهم عليهم،ويحذر الناس ويحترسُ منهم من غير أن يطوي عن أحدٍ منهم بِشْرَهُ وخُلُقَه، ويتفقَّدُ أصحابُه، ويسأل الناس عمَّا في الناس.

ويحسُنُ الحسن ويقَوِّيهِ، ويقبِّحُ القبيحَ ويوهيهِ، معتدلَ الأمرِ غيرَ مختلفٍ، لا يغفلُ مخافةَ أن يغفلوا أو يميلوا، لكلِّ حالٍ عنده عتادٌ، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمُّهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة» رواه الطبراني في الكبير22: 155.

ثالثاً: آدابه ﷺ في مجالسه:

قال الحسين: فسألته - أي: علياً رضي الله عنه - عن مجلسه ﷺ كيف كان؟ فقال: كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر الله تعالى، ولا يوطِّن الأماكن، وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى قوم: جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك.

يُعطي كلَّ جلسائه نصيبه، لا يحسبُ جليسُه أن أحداً أكرمُ عليه منه.

مَنْ جالسَهُ أو فاوضَهُ في حاجة: صابرُه حتى يكونَ هو المنصرف، ومَن سأله حاجةٌ لم يردّه إلا بها، أو بميسورٍ من القول قد وسع الناسَ منه بسطُهُ وخُلُقُهُ، فصار لهم أباً، وصاروا عنده في الحق سواء.

مجلسُهُ مجلسٌ: علم، وحياء، وصبرٍ، وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن ـ أي تعاب ـ فيه الحرم، ولا تُنثى ـ أي تشاع ـ فَلَتاته.

متعادلين، بل كانوا يتفاضلون فيه بالتقوى.

متواضعين؛ يوقّرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير، ويُؤثّرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب» أخرجه ابن شاذان في مشيخته ص47.

ثالثاً: آدابه ﷺ مع جلسائه:

قال الحسين رضي الله عنه: «وسألت علياً رضي الله عنه عن سيرة النبي ﷺ في جلسائه؟ فقال: كان رسول الله ﷺ دائم البشر، سهل الخُلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صَخَّاب، ولا فَحَّاش، ولا عيَّاب، ولا مدّاح، ولا مزَّاح، يتغافلُ عَمَّا لا يشتهي.

ولا يُؤيسُ منه راجيه، ولا يخيب فيه.

قد تَرَكَ نفسَه من ثلاث: المراء، والإكثار، وما لا يعنيه.

وترك الناسَ من ثلاث: كان لا يَذُمُّ أحداً ولا يَعيبه، ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلا فيها رجا ثوابه.

وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا.

لا يتنازعون عنده الحديث، ومن تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرُغ، حديثُهم عنده حديثُ أُوَلهم.

يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه.

ويصبر للغريب على الجَفْوة في منطقه ومسألته، حتى إن كان أصحابِه ليستجلِبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالب حاجة فأرْفِدُوه.

ولا يقبل الثناء إلا من مكافئٍ ـ أي غير مجاوز ولا مقصر ـ، ولا يقطعُ على أحدٍ حديثه حتى يجوز: فيقطعه بنهيٌ أو قيام» رواه البيهقي في شعب الإيمان3: 24.

رابعاً: سيرته ﷺ في سكوته:

قال الحسين رضي الله عنه: «فسألت علياً رضي الله عنه: كيف كان سكوته ﷺ؟ فقال: كان سكوته على أربع: الحُلْم، والحَذَر، والتقدير، والتفكير.

فأما تقديره ﷺ: ففي تسوية النظر، والاستماع بين الناس.

وأما تذكُره ـ أو قال تفكره ـ: ففيها يبقى ويفنى.

وجُمع له ﷺ الحلم والصبر، فكان لا يُغْضِبُهُ شيء ولا يستفزُهُ.

وجُمع له الحذر ﷺ في أربع: أخذُه بالحسن ليُقتدى به، وتركُه القبيح ليُتناهى عنه، واجتهاده الرأي فيما أصلح أمته، والقيام فيما جَمع لهم الدنيا والآخرة» رواه الطبراني.

وإن كل عاقل إذا تدبّر هذه الأوصاف الكاملة، والأخلاقي الفاضلة، والخصال الحميدة، والمزايا الرشيدة، التي تأصّلتْ في سيدنا محمد ﷺ، واجتمعتْ كلها فيه على أكمل وجوهِها، وأعلى مستوياتها إذا تدبّر ذلك: علم يقيناً أنّ سيدنا محمداً الذي اتّصف بتلك الصفات، ليس هو إنساناً كغيره من بني الإنسان، وإنما هو إنسان مخصّص من رب العالمين، بخصائص أكرمه الله بها، ومميز على غيره بمزايا منحه الله إياها، وأنّ قضيته إنما هو نبي الله ورسوله، ليس ذلك من باب أدب الأدباء، ولا من باب حكمة الحكماء، ولا نجابة النجباء، ولكن من باب أنه: رسول الله وخاتم الأنبياء، صلوات الله عليه وعليهم وسلامه، آمين.

خامساً: آدابه العامة ﷺ:

1. وقاره العظيم ﷺ:

كان رسول الله ﷺ أشدّ الناس وقاراً، وأعظمهم أدباً، وأرفعهم فخامةً وكرامةً، فعن خارجة بن زيد الأنصاري ﷺ: «كان رسول الله ﷺ أوقر الناس في مجلسه، لا يكاد يُخرج شيئاً من أطرافه» رواه أبو داود في مراسيله، قال القاري: لا يكاد يُخرج شيئاً من أطرافه: أي: من بُزاقِ فمه، أو مخاط أنفه، أو قطع ظفره.

2. تقديمه ﷺ كبير القوم في الكلام:

كان رسول الله ﷺ يقدّم كبير القوم في الكلام والسؤال، وذلك من باب التكريم وحفظ المراتب وتنزيله الناسَ منازلهم:

فعن سهل بن أبي حَثْمة ﷺ: «جاء عبد الرحمن بن سهل وحُوَيِّصة ومحيِّصة ابنا مسعود إلى النبي ﷺ، فبدأ عبد الرحمن يتكلم، وكان أصغرَ القوم، فقال ﷺ: كَبِّرْ كَبِّرْ» رواه البخاري.

وعن ابن عباس ﷺ قال ﷺ: « ليس منا من لم يوقّر الكبير، ويرحم الصغير، ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر» رواه أحمد.

3. تكريمه ﷺ أهل الفضل:

فعن ابن عباس ﷺ قال ﷺ: «البركة مع أكابركم» رواه ابن حبان في صحيحه، والمعنى: أن البركة مع أكابركم في الدين والعلم.

وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال ﷺ: «ليس من أمتي من لم يُجلّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقّه » رواه أحمد والطبراني وإسناده حسن.

فمن ذلك: إكرامُه ﷺ لعمه العباس ﷺ ومباهاتُه به، وإعلانه ﷺ ذلك أمام الصحابة ﷺ، ليقتدوا به في تكريم عمه العباس ﷺ: فعن ابن عباس ﷺ، عن أمه أم الفضل: «أن العباس أتى النبي ﷺ، فلما رآه قام إليه وقبّل ما بين عينيه، ثم أقعده عن يمينه ﷺ، ثم قال: هذا عمي، فمن شاء فلْيُبَاهِ بِعَمِهِ، فقال العباس: نعم القول يا رسول الله..» رواه الطبراني بسند حسن.

4. تحسينه ﷺ الحسن وتنشيطه على إتقان العمل وحسنه:

كان رسول الله ﷺ يُحسِّن الأمر الحسن ويمدح على ذلك؛ تكريماً لمن أحسن فيه، وتنشيطاً لهمته، ويُقبِح الأمر القبيح ويردُّه، فعن يحيى بن الجزار ﷺ: «دخل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ على أم سلمة رضي الله عنها فقالوا: يا أم المؤمنين حدّثينا عن سرّ رسول الله ﷺ، قالت: كان سرّه وعلانيته سواءً، ثم ندمتْ قالتْ: أفشيتُ سرّ رسول الله ﷺ، قالت: فلما دخل رسول الله ﷺ أخبرتُه، فقال: أحسنتِذ» رواه أحمد.

وعن طَلْق بن علي الحنفي ﷺ: «بنيتُ المسجدَ مع رسول الله ﷺ فأخذتُ المِسْحاة بمُخْلَطة الطين، فكأنه أعجبه فقال: دعوا الحنفي والطينَ، فإنه أضبطُكم للطين» رواه ابن حبان في صحيحه.

وعن عائشة رضي الله عنها قال ﷺ: «إن الله تعالى يحبُّ إذا عمل أحدكم عملًا أن يُتْقنه» رواه أبو يعلى وابن عساكر.

5. مشاورته ﷺ لأصحابه:

قال الله تعالى: ﴿وشاورهم في الأمر فإذا عزمتَ فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾، فقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالمشاورة في الأمر الذي يحتاج بعدُ إلى المشاورة، فإذا عزم قلبه على الفعل وعلى إمضائه بعد المشاورة ـ كما تدل عليه الفاء الدالة على الترتيب والتفريع ـ فليمضِ وليتوكل على الله تعالى.

وإنما أمر الله نبيه ﷺ أن يشاور أصحابه أهلَ الرأي والتدبير في الأمور التي تتطلّب ذلك، مع أن عقلهم بالنسبة إلى عقله الشريف ﷺ كالسُّها بالنسبة إلى شمس الضحى، ورأيه فوق الآراء كلها لحكم:

أ. تطييب نفوسهم، حتى إذا دخلوا في ذلك الأمر ومضوا فيه كالحرب وأمثالها يكون ذلك عن طيب نفوسهم واختيارهم، وذلك كما قال قتادة: «أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يشاور أصحابه، وهو يأتيه وحي السماء، لأنه أطيب لأنفس القوم».

ب. الاستظهار برأيهم، بمعنى أن رأيهم الموافق لرأيه ﷺ يزداد به ﷺ قوة، فعن عبد الرحمن بن غنّم ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر وعمر: «لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما» رواه أحمد.

ج.أن يكون ذلك سنةً بعده ﷺ لأمته، فعن الحسن ﷺ أنه قال في هذه الآية: «قد علم الله تعالىٰ ما برسول الله ﷺ حاجة إليهم، ولكن أراد أن يستنّ به مَن بعده» رواه البيهقي.

د.أن في المشاورة تقديراً للمستشار واعتباراً لمنزلته وإعطاءه حرية الرأي والنظر، وبها يشعر المستشار أن له اعتباراً وشأناً، وأن عليه مسؤولية ينبغي أن يؤديها حقها، ناصحاً صادقاً، بخلاف الاستبداد في الرأي في مواضع الاستشارة، فإنه يجعل الموجودين من عقلاء الرجال كالمفقودين، ويجعل المختارين كالمكرّهين، ولذلك كان ﷺ يُكثر أن يشاور أصحابه.

هـ.أن في المشاورة استعراضَ الآراء، وشحذَ العقول والأفكار، وبها يعرف مقادير الرجال، وخبرتهم في الأمور، ومدىٰ تجاربهم فيها.

6.حثه ﷺ على الاستشارة:

كان ﷺ يحث علىٰ الاستشارة ويرغب فيها: فعن عائشة رضي الله عنها، قال ﷺ: «المستشير مُعان، والمستشار مؤتمن، فإذا استُشير أحدُكم فليُشير بما هو صانع لنفسه» رواه العسكري.

والمستشار يجب أن يكون: أميناً محترماً، ناصحاً ثابت الجأش، غير معجب بنفسه، ولا متلون في رأيه، ولا كاذب في مقاله.

وعن أبي مسعود ﷺ قال ﷺ: « المستشار مؤتمن، وهو بالخيار، إن شاء تكلم، وإن شاء سكت، فإن تكلم فليجتهد رأيه» رواه العسكري.

وعن أنس ﷺ قال ﷺ: «ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار» رواه الطبراني.

7.تصويبه ﷺ الرأي الحسن وعمله بمقتضاه:

كان رسول الله ﷺ يُصوّب رأي من تقدّم برأي حسن صائب، ويعلن ذلك تكريمًا لصاحب الرأي الحسن، وتنشيطًا لهمته، وتقديرًا لموقعه في مواضع الخبرة.

وفي ذلك دليل على أنه ﷺ كان أوعى لحكمة الآراء ومراميها، ومدى أثرها وعواقب أمرها، فلذا كان يصوّب حسنها، ويردّ سيئها، فإن «النبي ﷺ استشار يوم قريظة والنضير، فقام الحباب بن المنذر فقال: أرى أن ننزل بين القصور، فنقطع خبر هؤلاء عن هؤلاء، وخبر هؤلاء عن هؤلاء. فأخذ النبي ﷺ بقوله» رواه ابن سعد.

وعن نبشة الخير ﷺ : «أنه دخل على رسول الله ﷺ وعنده أسارى، فقال: يا رسول الله إما أن تمنّ عليهم، وإما أن تُفاديهم. فقال ﷺ:أمرت بخير، أنت نبشة الخير» رواه الطبراني.

وعن طلحة ﷺ قال ﷺ: «يا عَمْرُو إنك لذو رأي رشيد في الإسلام» رواه الطبراني وسعيد بن منصور.

8 .**حبه ﷺ حسن الأسباء وكراهته قبيحها:**

كان ﷺ يحبُّ للمسلم صالح الأسباء وحسَنها، ويَكره له سيءَ الأسباء وقبيحها، وفي ذلك تكريم المسلم أن يُعرف باسم قبيح، أو يُنادَى باسم قبيح أو يُوضَع عليه عَلَم قبيح: اسماً أو لقباً أو كنية، فعن حنظلة بن حِزْيَم ﷺ: «أن النبي ﷺ كان يعجبه أن يُدعَى الرجل بأحب أسمائه إليه، وأحب كُناه» رواه الطبراني وأبو يعلى.

وذلك لما فيه من التكريم والتحابُب والتواصل، وإدخال السرور عليه.

وقد أمر النبي ﷺ بتحسين الأسماء: فعن أبي الدرداء ﷺ قال ﷺ: «إنكم تُدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم، فحسَّنوا أسماءكم» رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه.

وعن أبي وهب الجُشَمي ﷺ قال ﷺ:«تَسَمُّوا بأسماء الأنبياء، وأحبُّ الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقُها: حارث وهمّام، وأقبحها حربٌ ومُرَّةٌ » رواه أبو داود والنسائي.

وإنما كان حارث وهمام أصدقَ الأسماء: لأن الحارث هو الكاسبُ، والهمام هو الذي يهم مرة بعد أخرى، وكل إنسان لا ينفك عن هذين.

والاسم الكريم يُشعر بكرامة المسمَّى، ولذلك كان ﷺ يغيّر الاسم القبيح إلى اسم حسن، فعن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ كان يُغيّر الاسم القبيح» رواه الترمذي.

وعن ابن عمر ﷺ: «أن ابنةً لعمر كان يقال لها عاصية، فسها رسول الله ﷺ جميلة» رواه الترمذي وحسنه.

9.حبه ﷺ الفأل الصالح وكراهته التطير:

فعن أنس ﷺ قال ﷺ: «لا عدوى ولا طِيرَة، ويُعجِبني الفأل الصالح: الكلمة الحسنة» رواه البخاري.

وعن أبي هريرة ﷺ قال ﷺ: «لا طيرة، وخيرها الفأل، قالوا: وما الفأل يا رسول الله؟ قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم» رواه البخاري.

وخيرها الفأل أي خير أنواع الطيرة بالمعنى اللغوي الأعم من المآخذ الأصلي، والخلاصة: أنه ﷺ كان يعجبه الفأل الصالح، أي: الكلمة الحسنة المبشّرة

بخير، فعن أنس ﷺ: «أن النبي ﷺ كان يُعجبه إذا خرج لحاجة أن يسمع: يا راشد يا نجيح» رواه الترمذي.

فالتفاؤل والاستبشار بالخير محمود شرعاً، كأن يسمع طالبٌ ضالة: يا واجد، وأن يسمع التاجر: يا رازق، والمسافر: يا سالم، وقاصد الحاجة: يا نجيح، والغازي: يا منصور، والحاجُ: يا مبرور، والزائر: يا مقبول، وأمثال ذلك.

وأما التطيّر بمعنى التشاؤم: فهو منهي عنه شرعاً: فعن ابن عباس ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ يتفاءل ولا يتطير، وكان يحبُ الاسم الحسن» رواه أحمد بسند حسن.

وعن أبي هريرة ﷺ قال ﷺ: «لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صَفَر، وفِرَّ من المجذوم فِرَارَك من الأسد» رواه البخاري، فنفى رسول الله ﷺ تأثير العدوى من ذاتها، وأنها لا محالة مؤثرة، كما كانوا يعتقدونه في الجاهلية وإنما هي سبب من الأسباب، والفعّال المؤثر بالأسباب هو الله تعالى وحده.

«ولا هامة» هي اسم طير يتشاءم به الناس، وهي الصَّدَى، وهو طير كبير يضعف بصره في النهار، ويطير في الليل، ويصوِّت، ويسكن الخراب.

«ولا صفر» إنّ أهل الجاهلية كانوا يُحِلُّون صفر: يُحلونه عاماً، ويحرمونه عاماً فقال النبي ﷺ: «ولا صفر».

10. حبه ﷺ التيمن في شأنه كله:

فعن عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ يُعجبه التيمنُ في تنعُله وترجُله، وفي ظهوره وفي شأنه كله» رواه الشيخان.

والتيمنُ: هو الابتداء في الأفعال باليد اليمنىٰ، إن كان الفعل منوطاً باليد، وبالرجل اليمنىٰ إن كان منوطاً بالرجل، وبالجانب الأيمن إن كان الفعل متعلقاً بالجوانب.

والحكمة في ذلك أنه من باب تكريم اليمين، والتفاؤل الحسن، فإن أصحاب اليمين هم أهل الجنة، ويؤتون كتبهم بأيمانهم، ونورهم يسعىٰ بين أيديهم وبأيمانهم.

وفي هذا يتجلىٰ تمام تنظيمه ﷺ وهديه في مباشرة الأعمال، وذلك أنه لا بد من تقديم أحدٍ طرفي اليمين أو الشمال في مباشرة الأعمال، فرفع رسول الله ﷺ الفوضى في ذلك، وسنّ البدء باليمين، ورجّحها علىٰ الشمال، فكان ﷺ يبدأ باليمين في طهوره أي: تطهره

وأما مالا تكريم فيه ولا تزيين، بل هو من باب الإزالة، فإنه يؤخذ باليسار، إكراماً لليمين أيضاً، فعن عائشة رضي الله عنها: «كانت يد رسول الله ﷺ اليمنىٰ لظُهوره وطعامه، وكانت يده اليسرىٰ لخلاته وما كان من أذىً» رواه أبو داود.

11. كراهيته ﷺ إطلاق بعض الكلمات مخافة إيهامها:

فعن عائشة رضي الله عنها قال ﷺ: «لا يقولنّ أحدكم: خبثت نفسي، ولكن ليقل: لَقِسْتَ نفسي» رواه الشيخان.

وعن عائشة رضي الله عنها قال ﷺ: « لا يقولنّ أحدكم: جَأُشَت نفسي، ولكن ليقل: لَقِسْتَ نفسي» رواه أبو داود.

معنىٰ لَقِسْتَ وجَأْشْتَ: غثت، قالوا: وإنما كره خبثت، للفظ الخبث والخبيث، وعلّمهم الأدب في استعمال الحسن منه، وهجران القبيح، فإنه ﷺ كره أن يضيف المسلم لنفسه كلمةً فيها خبث وبشاعة، فإن المسلم أكرم من ذلك.

وعن أبي هريرة ﷺقال ﷺ: «لا يقل أحدكم ـ أي: لغيره من المخلوقات ـ: ربي، وليقل: سيدي ومولاي» رواه مسلم.

ومن ذلك: تحذيره الرجل من أن يقول: هَلَكَ الناس، وهو يريد بذلك انتقاصَهم واحتقارهم، وتنزيه نفسه وتفضيلها عليهم: فعن أبي هريرة ﷺ قال ﷺ: « إذا قال الرجل: هَلَكَ الناسُ فهو أهلكُهُم » رواه مسلم.

فليحذر المسلم أن يزكي نفسه، ويحتقر غيره، أو أن يكرم نفسه، ويُزري بغيره من المسلمين المخلّطين، ولكن ليأسف عليهم وليحزن عليهم، وليدعُ الله تعالىٰ لهم.

12 .متفرقات في آداب للنبي ﷺ[1]:

الكلام فيما يتعلق بآداب النبي ﷺ لا ينتهي، وهو باب واسعٌ للاقتداء والاستفادة من المسلم بمشكاة النبي ﷺ، فهنيئاً لما التزمها وأخذ بها، ونذكر نزراً من الروايات الواردة فيها للإفادة:

أ.لا يستقبل الباب عند الزيارة، فعن عبد الله بن بسر ﷺ: «كان ﷺ إذا أتىٰ باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول: السلام عليكم السلام عليكم» رواه أحمد وأبو داود وصححه السيوطي،

(1) مستفادة من الجامع الصغير للسيوطي مع شرح للمناوي.

وذلك لأن الدور يومئذ لم تكن لها ستور، والظاهر أن تكرير السلام إنما هو لمن عن يمينه مرة، ومن عن يساره مرة.

ب.حسن المعاشرة، فعن عكرمة ﷺ: «كان ﷺ إذا أتاه رجل فرأى في وجهه بِشراً أخذ بيده» رواه ابن سعد مرسلاً، وصححه السيوطي: كان إذا أتاه رجل فرأى في وجهه بشراً: طلاقة وجه وأمارة سرور، أخذ بيده إيناساً له واستعطافاً؛ ليعرف ما عنده مما يسره من نصرة الدين وقيام شعار الإسلام وتأييد المؤمنين .

ج.حمد الله على كل حال، فعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ إذا أتاه الأمر يسره قال: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإذا أتاه الأمر يكرهه قال: الحمد لله على كل حال» رواه ابن السني في عمل يوم وليلة والحاكم وصححه السيوطي.

د.يسلم على المنبر، فعن جابر ﷺ: «كان ﷺ إذا صعد المنبر سلم» رواه ابن ماجة وصححه السيوطي.

هـ.حمد الله للعطاس، فعن عبد الله بن جعفر ﷺ: «كان ﷺ إذا عطس حمد الله فيقال له: يرحمك الله، فيقول: يهديكم الله ويصلح بالكم» رواه أحمد والطبراني في الكبير وحسنه السيوطي.

و.ينثر التمر للزواج، فعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ إذا زوج أو تزوج نثر تمراً» رواه البيهقي وضعفه السيوطي: فيه أنه يسن لمن اتخذ وليمة أن ينثر للحاضرين تمراً وزبيباً أو لوزاً أو سكرا أو نحو ذلك.

س.يستنير وجهه بالسرور، فعن كعب مالك ﷺ: «كان ﷺ إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر» رواه الشيخان: أي أي أضاء كأنه أي الموضع الذي يتبين فيه السرور، وهو جبينه قطعة قمر.

وعن سهيل بن سعد ﷺ: «كان ﷺ إذا رضي شيئاً سكت» رواه ابن منده وضعفه السيوطي: أي كان إذا رضي شيئاً من قول أحد أو فعله سكت عليه، لكن يعرف الرضا في وجهه.

ح.تبدل الاسم القبيح، وينادي بأحب الأسماء، فعن عروة ﷺ مرسلاً: «كان ﷺ إذا سمع بالاسم القبيح حوله إلى ما هو أحسن منه» رواه ابن سعد: أي كان إذا سمع بالإسم القبيح حوله إلى ما هو أحسن منه، فمن ذلك تبديله عاصية بجميلة والعاصي بن الأسود بمطيع؛ لأن الطباع السليمة تنفر عن القبيح وتميل إلى الحسن المليح.

وعن حنظلة بن حذيم ﷺ: «كان ﷺ يعجبه أن يدعى الرجل بأحب أسمائه إليه وأحب كناه» رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير وحسنه السيوطي: لما فيه من الائتلاف والتحابب والتواصل.

ط.يجلس إن غضب، فعن أبي هريرة ﷺ: «كان إذا غضب وهو قائم جلس، وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه» رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب وضعفه السيوطي: أي لأن البعد عن هيئة الوثوب والمسارعة إلى الانتقام مظنة سكون الحدة، وهو أنه يسن لمن غضب أن يتوضأ.

ي.تمكن ود علي ﷺ من قلبه، فعن أم سلمة رضي الله عنها: «كان ﷺ إذا غضب لم يجتريء عليه أحد إلا عليّ ﷺ» رواه الحاكم وصححه السيوطي: لما

يعلمه من مكانته عنده، وتمكن وده من قلبه، بحيث يحتمل كلامه في حال الحدة، فأعظم بها منقبة تفرد بها عن غيره.

ك.يظهر الكره في وجهه، فعن أنس ﷺ: «كان ﷺ إذا كره شيئاً رؤي ذلك في وجهه» رواه الطبراني في الأوسط وضعفه السيوطي: لأن وجهه كالشمس والقمر، فإذا كره شيئاً كسا وجهه ظل كالغيم على النيرين، فكان لغاية حيائه لا يصرح بكراهته، بل إنما يعرف في وجهه.

ل.يصافح بعد التسليم، فعن جندب ﷺ: «كان ﷺ إذا لقي أصحابه لم يصافحهم حتى يسلم عليهم» رواه الطبراني في الكبير وضعفه السيوطي: أي تأديبا لهم وتعليماً لمعالم الديانة ورسوم الشريعة وحثاً على لزوم ما خصت به هذه الأمة من هذه التحية العظمى التي هي تحية أهل الجنة في الجنة.

م.ينادي من لم يحفظ اسمه بعبد الله، فعن جارية الأنصارية رضي الله عنها: «كان ﷺ إذا لم يحفظ اسم الرجل قال: يا ابن عبد الله» رواه ابن السني وضعفه السيوطي.

ن.يكره الرقود على الوجه، فعن الشريد بن سويد ﷺ: «كان ﷺ إذا وجد الرجل راقداً على وجهه ليس على عجزه شيء ركضه برجله، وقال: هي أبغض الرقدة إلى الله تعالى» رواه أحمد وحسنه السيوطي.

س.فيه دعابة وفكاهة، فعن ابن عباس ﷺ: «كان ﷺ فيه دعابة قليلة» رواه ابن عساكر وضعفه السيوطي: أي مزاح يسير.

وعن أبي أمامة ﷺ: «كان ﷺ من أضحك الناس وأطيبهم نفساً» رواه الطبراني في الكبير وحسنه السيوطي: كان من أضحك الناس لا ينافيه خبر أنه كان لا يضحك إلا تبسماً؛ لأن التبسم كان أغلب أحواله، فمن أخبر به أخبر عن

أكثر أحواله ولم يعرج على ذلك لندوره أو كل راو روى بحسب ما شاهد، فالاختلاف باختلاف المواطن والأزمان.

وعن أنس ﷺ: «كان ﷺ من أفكه الناس» رواه ابن عساكر وضعفه السيوطي: أي من أمزحهم إذا خلا بنحو أهله، والفكاهة المزاحة.

وعن رجل : «كان ﷺ مما يقول للخادم ألك حاجة» رواه أحمد وحسنه السيوطي: أي كان كثيراً ما يقول ذلك.

ع.يقبل الطيب، فعن أنس ﷺ: «كان ﷺ لا يرد الطيب» رواه البخاري: لأنه خفيف المحمل طيب الريح، ولا منة في قبوله.

ف.يعطي كل ما يسأل، فعن أنس ﷺ: «كان ﷺ لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه أو سكت» رواه الحاكم وصححه السيوطي: أي أعطاه للسائل إن كان عنده أو سكت إن لم يكن عنده.

ص.يسلم على النساء ولا يصافح، فعن ابن عمرو ﷺ: «كان ﷺ لا يصافح النساء في البيعة» رواه أحمد وحسنه السيوطي: أي كان لا يصافح النساء الأجانب في البيعة: أي لا يضع كفه في كف الواحدة منهن بل يبايعها بالكلام فقط.

وعن جرير ﷺ: «كان ﷺ يمر بنساء فيسلم عليهن» رواه أحمد عن جرير وحسنه السيوطي: كان يمر بنساء فيسلم عليهن حتى الشواب وذوات الهيئة؛ لأنه كالمحرم لهن، ولا يشرع ذلك لغير المعصوم، ويكره من أجنبي على شابة ابتداءً ورداً، ويحرمان منها عليه.

ق.يتطهر بنفسه، فعن ابن عباس ﷺ: «كان ﷺ لا يكل طَهوره إلى أحد، ولا صدقته التي يتصدق بها يكون هو الذى يتولاها بنفسه» رواه ابن ماجة وضعفه السيوطي، أي إلى أحد من خدمه، بل يتولاه بنفسه.

ر.لا يجلس في الظلام، فعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ لا يقعد في بيت مظلم حتى يضاء له بالسراج» رواه ابن سعد وضعفه السيوطي، لكنه يطفئه عند النوم.

ش.يأمر بالهدية، فعن أنس ﷺ: «كان ﷺ يأمر بالهدية صلة بين الناس» رواه ابن عساكر وحسنه السيوطي.

وعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ يحمل ماء زمزم» رواه الترمذي والحاكم وصححه السيوطي: أي كان يحمل ماء زمزم من مكة إلى المدينة ويهديه لأصحابه، وكان يستهديه من أهل مكة، فيسن فعل ذلك.

ت. يأكل باليمين، فعن حفصة رضي الله عنها: «كان ﷺ يجعل يمينه لأكله وشربه ووضوئه وثيابه وأخذه وعطائه وشماله لما سوى ذلك» رواه أحمد وصححه السيوطي.

ث.لعب السبطين معه في الصلاة، فعن ابن مسعود ﷺ: «كان ﷺ يصلي والحسن والحسين يلعبان ويقعدان على ظهره» رواه في حلية الأولياء، وضعفه السيوطي: وهذا من كمال شفقته ورأفته بالذرية.

خ. يمشي بقوة، فعن ابن عباس ﷺ: «كان ﷺ يمشي مشياً يعرف فيه أنه ليس بعاجز ولا كسلان» رواه ابن عساكر.

ذ.يربط خنصره للتذكر، فعن ابن عمر ﷺ: «كان ﷺ إذا أشفق من الحاجة ينساها ربط في خنصره أو في خاتمه الخيط» رواه ابن سعد والحكيم وضعفه السيوطي.

ض.النوم على طهارة، فعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ إذا أراد أن ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضأ للصلاة» رواه أبو داود والنسائي وصححه السيوطي.

وعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم» رواه مالك، وصححه السيوطي.

ظ.يضحي بنفسه، فعن أنس ﷺ: «كان ﷺ يذبح أضحيته بيده» رواه أحمد وصححه السيوطي.

غ.يتكلم بتبسم، فعن أبي الدرداء ﷺ: «كان ﷺ لا يحدث حديثاً إلا تبسم» رواه أحمد وحسنه السيوطي: أي ضحك قليلا بلا صوتٍ

المطلب السادس
متفرقات في أحول النبي ﷺ[1]

أولاً: طعام النبي ﷺ وشرابه:

نقف هاهنا على نزر يسير مما يتعلق بمأكل حضرة النبي ﷺ ومشربه؛ ليكون منارة لنا نستنير فيها في هذا الجانب من شخصية النبي ﷺ، ومن ذلك:

(1) مستفادة من الجامع الصغير للسيوطي مع شرح للمناوي.

فعن أبي هريرة ﷺ: «وضعت بين يدي رسول الله ﷺ قصعةً من ثريد ولحم، فتناول الذراع وكانت أحب الشاة إليه» رواه الشيخان.

وعن أبي هريرة ﷺ: «كان ﷺ إذا أتي بطعام سأل عنه أهدية أم صدقة، فإن قيل: صدقة قال لأصحابه كلوا ولم يأكل، وإن قيل: هدية ضرب بيده فأكل معهم» رواه النسائي وصححه السيوطي.

وعن عائشة رضي الله عنها: «كان إذا أتي بلبن قال: بركة» رواه ابن ماجة وضعفه السيوطي: أي هو بركة يعني شربه زيادة في الخير، وكان تارة يشربه خالصاً، وتارة مشوباً بماء بارد؛ لأنه عند الحلب حار، وتلك البلاد حارة تنكسر حدة حره ببرد الماء.

وعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ إذا أتي بطعام أكل مما يليه، وإذا أتي بالتمر جالت يده» رواه البيهقي في الشعب وصححه السيوطي: كان إذا أتي بطعام أكل مما يليه تعليماً لأمته آداب الأكل، فإن الأكل مما يلي الغير مكروه؛ لما فيه من مزيد الشره والنهمة وإلحاق الأذىٰ بمن أكل معه، وسببه أن كل آكل كالحائز لما يليه من الطعام، فأخذ الغير له تعد عليه مع ما فيه من تقذر النفوس مما خاضت فيه الأيدي، ثم هو سوء أدب من غير فائدة إذا كان الطعام لوناً واحداً، أما إذا اختلفت أنواعه فيرخص فيه.

وعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ إذا دخل قال: هل عندكم طعام، فإذا قيل: لا قال: إني صائم» رواه أبو داود وصححه السيوطي.

وعن ابن عمر ﷺ: «كان ﷺ لا يأكل متكئاً، ولا يطأ عقبة رجلان» رواه أحمد وحسنه السيوطي، أي كان لا يأكل متكئاً: أي مائلاً إلىٰ أحد شقيه معتمداً

عليه وحده؛ لأن المراد الاعتماد على وطاء تحته مع الاستواء، ولا يطأ عقبه لا يمشي خلفه رجلان ولا أكثر كما يفعل الملوك يتبعهم الناس كالخدم.

وعن عمار بن ياسر ﷺ: «كان ﷺ لا يأكل من هدية حتى يأمر صاحبها أن يأكل منها للشاة التي أهديت له» رواه الطبراني في الكبير وضعفه السيوطي.

وعن أنس ﷺ: «كان ﷺ لا يدخر شيئاً لغد» رواه الترمذي وصححه السيوطي: أي لا يجعل شيئاً ذخيرة لسماحة نفسه وفيض كفه ومزيد ثقته بربه لغد: أي ملكا بل تمليكاً، ولا ينافيه أنه ادخر قوت سنه لعياله، فإنه كان خازناً قاسماً، فلما وقع المال بيده قسم لعياله مثل ما قسم لغيرهم، فإن لهم حقاً فيما أفاء الله به على المسلمين.

وعن عمر ﷺ: «كان ﷺ يبيع نخل بني النضير، ويحبس لأهله قوت سنتهم» رواه البخاري.

وعن عبد الله بن جعفر ﷺ: «كان ﷺ يأكل القثاء بالرطب» رواه الشيخان.

وعن عامر بن ربيعة ﷺ: «كان ﷺ يأكل بثلاث أصابع ويستعين بالرابعة» رواه الطبراني في الكبير وضعفه السيوطي: قال بعضهم: وربما أكل بكفه كلها.

وعن ابن عباس ﷺ: «كان ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً، وأهله لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير» رواه الترمذي وابن ماجة وحسنه السيوطي.

وعن ابن عباس ﷺ: «كان ﷺ إذا شرب تنفس مرتين» رواه الترمذي وابن ماجة وضعفه السيوطي: أي تنفس في أثناء الشرب مرتين، فيكون قد شرب ثلاث مرات، وسكت عن التنفس الأخير؛ لكونه من ضرورة الواقع.

ثانياً: أحب الأشياء للنبي ﷺ:

يجاب هاهنا على سؤال يقع في أذهان كثير من الناس فيما يحبّ النبيّ ﷺ، وهذا بابٌ واسعٌ نذكر هناهنا شيئاً منها بحيث لا يطول المقام، ونتعرَّف على بعض محبوبات النبي ﷺ ومنها:

فعن أنس رضي الله عنه: «كان ﷺ أحب الألوان إليه الخضرة» رواه الطبراني في الأوسط وابن السني وأبونعيم في الطب، وضعفه السيوطي: أي كان أحب الألوان إليه من الثياب وغيرها الخضرة؛ لأنها من ثياب الجنة، فالخضرة أفضل الألوان.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «كان ﷺ أحب التمر إليه العجوة» رواه أبو نعيم وضعفه السيوطي.

وعن أم سلمة رضي الله عنها: «كان ﷺ أحب الثياب إليه القميص» رواه أبو داود الترمذي والحاكم وصححه السيوطي: أي كان أحب الثياب إليه من جهة اللبس القميص: أي كانت نفسه تميل إلى لبسه أكثر من غيره من نحو رداء أو إزار؛ لأنه أستر منهما وأيسر لاحتياجهما إلى حل وعقد.

وعن أنس رضي الله عنه: «كان ﷺ أحب الثياب إليه الحبرة» رواه أبو داود النسائي وصححه السيوطي: أي كان أحب الثياب إليه أن يلبسها، وهي برد يماني ذو ألوان من التحبير، وهو التزيين والتحسين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «كان ﷺ أحب الشراب إليه اللبن» رواه أبو نعيم في الطب: أي كان أحب الشراب إليه اللبن لكثرة منافعه، ولكونه لا يقوم مقام الطعام غيره؛ لتركبه من الجبنية والسمنية والمائية، وليس شيء من المائعات .

وعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ أحب الشراب إليه العسل» رواه ابن السني وأبونعيم في الطب: أي كان أحب الشراب إليه العسل الممزوج بالماء.

وعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ أحب الشهور إليه أن يصومه شعبان» رواه أبو داود وضعفه السيوطي: أي كان أحب الشهور إليه ان يصومه شعبان أخذ منه أن أفضل الصوم بعد رمضان شعبان.

وعن ابن عباس ﷺ: «كان ﷺ أحب الصباغ إليه الخل» رواه أبو نعيم وضعفه السيوطي: أي كان أحب الصبوغ إليه ما صبغ بالخل.

وعن ابن أبي أوفىٰ ﷺ: «كان ﷺ أحب الصبغ إليه الصفرة» رواه الطبراني في الكبير وصححه السيوطي، لعله أراد به الخضاب بدليل أنه كان يخضب بها.

وعن ابن عباس ﷺ: «كان ﷺ أحب الطعام إليه الثريد من الخبز، والثريد من الحيس» رواه أبو داود والحاكم وصححه السيوطي: يثرد الخبز: أي يفتت ثم يُبل بمرق، وقد يكون معه لحم لمزيد نفعه وسهولة مساغة وتيسر مناولته، والثريد من الحيس هو تمر خلط بأقط وسمن والأصل فيه الخلط.

وعن ابن مسعود ﷺ: «كان ﷺ أحب العُراق إليه ذراع الشاة» رواه أحمد وأبو داود وابن السني وأبو نعيم وصححه السيوطي، وهو أكل اللحم عن العظم.

وعن أبي هريرة ﷺ: «كان ﷺ أحب الفاكهة إليه الرطب والبطيخ» رواه ابن عدي وضعفه السيوطي.

وعن ابن عباس ﷺ: «كان ﷺ أحب اللحم إليه الكتف» رواه أبو نعيم وضعفه السيوطي.

وعن أنس ﷺ: «كان ﷺ يحب أن يفطر على ثلاث تمرات أو شيء لم تصبه النار» رواه أبو يعلى وحسنه السيوطي.

وعن ابن بشر ﷺ : «كان ﷺ يحب الزبد والتمر» رواه أبو داود وابن ماجة وحسنه السيوطي.

وعن الربيع بن معوذ رضي الله عنها: «كان ﷺ يحب القثاء» رواه الطبراني في الكبير وحسنه السيوطي: أي كان يحب القثاء لإنعاش ريحها للروح وإطفائها لحرارة المعدة الملتهبة سيما في أرض الحجاز ولكونها بطيئة الانحدار عن المعدة كان كثيراً ما يعدلها بنحو رطب أو تمر أو عسل.

ثالثاً: حال النبي ﷺ أثناء شهود الجنازة:

الموت موقفٌ عصيب يمرّ به كل إنسان، ويكون له أثر كبير على كل من يحضره، وكان له أثره كبير على حضرة نبينا ﷺ، كما تشهد له بعض الروايات منها:

فعن عبد العزيز بن أبي رواد ﷺ مرسلاً: «كان ﷺ إذا شهد جنازة أكثر الصُّمات وأكثر حديث نفسه» رواه ابن المبارك وابن سعد وحسنه السيوطي: أي حضرها أكثر الصمات: السكوت وأكثر حديث نفسه: أي في أهوال الموت وما بعده من القبر والظلمة وغير ذلك.

وعن ابن عباس ﷺ: «كان ﷺ إذا شهد جنازة رؤيت عليه كآبة وأكثر حديث النفس» رواه الطبراني في الكبير وضعفه السيوطي: أي والكآبة تغير النفس بانكسار.

وعن عثمان ﷺ: «كان ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل» رواه أبو داود وحسنه

السيوطي: وسلوا له التثبيت أي اطلبوا له من الله تعالى أن يثبت لسانه وجنانه لجواب الملكين.

رابعاً: حال النبي ﷺ مع زيادة الهموم عليه:

الحياة مبنيةٌ على الابتلاء، فتكثر فيها المصائب والهموم، ولا يخلو منها إنسان حتى الأنبياء يقعون في ذلك، بل هم أكثر الناس ابتلاء، وكان النبي ﷺ حالة خاصة عندما تصيبه الهموم كما تشهد لذلك الأحاديث ومنها:

فعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ إذا اهتم أكثر من مسك لحيته» رواه ابن السني وأبو نعيم في الطب وضعفه السيوطي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «كان ﷺ إذا أهمه الأمر رفع رأسه إلى السماء، وقال: سبحان الله العظيم وإذا اجتهد في الدعاء قال: يا حي يا قيوم» رواه الترمذي وضعفه السيوطي.

وعن أبي موسى رضي الله عنه: «كان ﷺ إذا خاف قوماً قال: اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم» رواه أحمد أبو داود والحاكم والبيهقي في الشعب وصححه السيوطي.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: «كان ﷺ إذا نزل به هم أوغم، قال: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث» رواه الحاكم وصححه السيوطي: أي أستعين واستنصر يقال: أغاثه الله أعانه ونصره، وأغاثه الله برحمته كشف شدته.

خامساً: احتجام النبي ﷺ وأحواله المختلفة:

نعرض هاهنا شيئاً من أحوال النبي ﷺ سواء في حجامته أو غيرها من الأمور المتفرقة التي يظهر حاله ﷺ لنقتدي به ونسير على طريقها، ومن ذلك:

فعن أبي كبشة ﷺ: «كان ﷺ يحتجم على هامته وبين كتفيه ويقول: من أهرق من هذه الدماء فلا يضره أن لا يتداوى بشيء لشيء» رواه أبو داود ابن ماجة وحسنه السيوطي.

وعن ابن عمر ﷺ: «كان ﷺ يحتجم في رأسه ويسميها أم مغيث» رواه الخطيب وضعفه السيوطي.

وعن أنس ﷺ: «كان يحتجم في الأخدعين والكاهل وكان يحتجم لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين» رواه الترمذي والحاكم عن أنس وصححه السيوطي.

وعن أنس ﷺ: «كان ﷺ يعجبه الرؤيا الحسنة» رواه أحمد والنسائي وحسنه السيوطي.

وعن أنس ﷺ: «كان ﷺ تنام عيناه ولا ينام قلبه» رواه الحاكم وصححه السيوطي:

ليعي الوحي الذي يأتيه في نومه ورؤيا الأنبياء وحي.

وعن بريدة ﷺ: «كان ﷺ ربما أخذته الشقيقة، فيمكث اليوم واليومين لا يخرج» رواه ابن السني وأبو نعيم في الطب وضعفه السيوطي: الشقيقة وجع أحد شقي الرأس فيمكث أي يلبث اليوم واليومين لا يخرج من بيته لصلاة ولا غيرها لشدة ما به من الوجع.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه ﷺ مرسلاً: «كان ﷺ ناقته تسمى العضباء، وبغلته الشهباء وحماره يعفور، وجاريته خضراء» رواه البيهقي وحسنه السيوطي.

وعن أبي سعيد ﷺ: «كان ﷺ إذا اجتهد في اليمين، قال: لا والذي نفس أبي القاسم بيده» رواه أحمد وصححه السيوطي: نفس أبي القاسم: أي ذاته، وجملته بيده: أي بقدرته وتدبيره.

وعن قرة ابن إياس ﷺ: «كان ﷺ إذا جلس جلس إليه أصحابه حلقاً حلقاً» رواه البزار وصححه السيوطي.

المطلب السابع
عبادته ﷺ

تمهيد:

إن سيدنا محمداً رسول الله ﷺ قد نال أشرف مقامات العبادة وأقربها إلى الله تعالى زلفى، فهو ﷺ سيد العباد، وإمام العباد، قال الله تعالى: ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون. فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾.

فأمر الله تعالى رسوله ﷺ في هذه الآية بأربعة أشياء: التسبيح، والتحميد، والسجود، والعبادة حتى الموت.

أما التسبيح: فهو تنزيه الله تعالى عما لا يليق به.

وأما التحميد: فهو إثبات المحامد له والكمالات اللائقة به.

ثم قال سبحانه: ﴿ وكن من الساجدين ﴾ أي: المصلين، فأطلق الجزء، وهو السجود ، وأراد الكل، وهو الصلاة، وفي هذا الأمر وهو قوله تعالى: ﴿ وكن من الساجدين ﴾: فيه التنبيه إلى أفضلية السجود، كما صح أن النبي ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد، فأكثروا الدعاء» رواه مسلم.

وجاءت هذه الأوامر بعد ما ذكر سبحانه ما يعتري رسوله الكريم ﷺ من ضيق صدره الشريف، والغم الذي يجده بسبب ما يقوله الكفار من كلمات الكفر والاستهزاء والسخرية بما جاءهم به من عند الله تعالى.

فجاء قوله تعالى: ﴿فسبِّح بحمد ربك وكن من الساجدين﴾ بعد ذلك إرشاداً إلى ما يكشف الله تعالى من الغم، ويزيل به ذلك الهمّ، ويشرح به الصدر، ويذهب ذلك الضيق، ولذلك كان ﷺ إذا أحزنه أمر فزع إلى الصلاة.

ثم قال سبحانه: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ أي: الموت، وسُمي بذلك؛ لأنه متيقّن اللحوق بكل حيّ مخلوق.

والمعنى: دُم على العبادات ما دمت حياً من غير إخلال بها لحظةً.

وكان له ﷺ أكملُ ذوقٍ لحلاوة العبادات، وألذُّ راحة ونعيم بها: قال ﷺ: «قُمْ يا بلال أرِحْنا بالصلاة» رواه أحمد، وقال ﷺ: « وجُعِلَتْ قَرَّةُ عيني في الصلاة» رواه أحمد.

والمتَّبعون المحمديُّون نالوا نصيبهم من لذّة العبادات، ونعيم الطاعات، على حسب مراتبهم: قال إبراهيم بن أدهم: «لو يعلم الملوك ما نحن عليه من اللذّة لجالدونا عليه بالسيوف». وقال أبو سليمان الداراني: «أهل الليل في ليلهم: ألذُّ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليلُ ما أحببتُ البقاء في الدنيا».

وكما قال بعضهم رضي الله عنهم: إذا كان أهل الجنة على ما نحن عليه: فهم في عيشٍ طيّبٍ.

وللعبادات آثار في نفس العابد: تهذُبها من الرعونات والحماقات، والدعاوي والأنانيات، حتى تصفو نفس العابد، وتدخل في دائرة العبودية، لسلطان مقام الربوبية، وقد قال ﷺ لربيعة بن كعب الأسلمي لما قال له: أسألك

مرافقتك في الجنة، قال له ﷺ: « فأعِني على نفسك بكثرة السجود» رواه مسلم1: 353.

أولاً: خشيته ﷺ من الله تعالى وخوفه منه:

كان رسول الله ﷺ أشدّ الناس خشيةً من الله تعالى، وذلك لأنه أعلمهم بالله تعالى، والخشية من الله تعالى تكون على حسب العلم به تعالى، قال الله تعالى: ﴿ إنما يخشى الله مِن عباده العلماء...﴾ الآية.

وعن عائشة رضي الله عنها: «صنع رسول الله ﷺ شيئاً ترخّص فيه، وتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: ما بالُ أقوامٍ يتنزهون عن الشيء أصنعه؟! فوالله إني لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية » رواه الشيخان.

ثانياً: خشوعه ﷺ لله تعالى وبكاؤه من خشية الله تعالى:

كان رسول الله ﷺ دائم الخشوع والانكسار والتواضع لربه تعالى، في سائر مواقفه الكريمة ومشاهده العظيمة، في صلواته وسائر عباداته، وسائر شؤوناته وقضاياه: من الخطب والمواعظ والفتوحات، وسائر أحواله ﷺ.

وقد بلغ من خشوعه ﷺ في صلاته أنه سُمع لجوفه أزيز كأزيز المِرْجَل: فعن مطرفٍ عن أبيه ﷺ: « رأيت رسول الله ﷺ يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء» رواه أبو داود.

ولما دخل مكة يوم الفتح دخلها خاشعاً لربه تعالى، وكان على مشهد عظيم من الملأ الحاضر: فعن أنس ﷺ: «لما دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح استشرفه الناس، فوضع رأسَه على رَحُله متخشّعاً» روى أبو يعلى والحاكم بسند جيد قوي.

ومن ذلك: خشوعه ﷺ وبكاؤه في توجّهه إلى الله تعالى، ملحّاً بالدعاء، مستغرقاً في الرجاء: فعن ابن عمرو ﷺ: «تلا رسول الله ﷺ: {ربّ إِنَّهَنَ أَضْلَلْنَ

كثيراً من الناس، فمن تبعني فإنه مني، ومن عصاني فإنك غفور رحيم}، وقوله تعالىٰ: {إِنْ تَعْذِبْهُم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم}، فرفع ﷺ يديه وقال: اللهم أُمّتي أُمّتي وبكىٰ، فقال الله عز وجل: يا جبريل إذهبْ إلىٰ محمد فاسأله: ما يُبكيه؟ فأتاه جبريل فسأله، فأخبره بما قال ـ وهو أعلم ـ، فقال الله تعالىٰ: يا جبريل إذهبْ إلىٰ محمد فقل له: إنا سنرضِيك في أمتك ولا نسوؤك» رواه مسلم.

ثانياً: سمات المنهج التعبدي للنبي ﷺ:

إن منهاجه ﷺ الذي انتهجه في العبادة، والذي رسمه للعباد، هو أقوم المناهج وأقواها، وأفضلها عند الله تعالىٰ وأهداها، وأعدها في أداء الحقوق وأكملها، وهو أبين طرق التقرب إلىٰ الله تعالىٰ وأقربها، ومهما جاء العابد بمشاقّ التعبدات، وأتىٰ بعظائم من الطاعات، لا يُقرّبه ذلك إلىٰ الله تعالىٰ زلفىٰ، كما تقرّبه السنة المحمدية التي سنّها رسول الله ﷺ في الطاعات والعبادات.

فعن أنس رضي الله عنه: «جاء ثلاثةُ رهْطٍ إلىٰ بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أُخبِروا كأنهم تقالُّوها، قالوا: أين نحن من رسول الله ﷺ وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر؟ فقال أحدهم: أما أنا فأصلّي الليل، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء ولا أتزوّج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم الله وأتقاكم له، ولكن: أصوم وأفطر، وأصلّي وأرقُد، وأتزوج النساء، فمَن رغب عن سنتي فليس مني» رواه الشيخان.

وكان منهاجه ﷺ في العبادة على النحو الآتي:

1 .**أنه إذا عمل عملاً أثبته وداوم عليه**: فعن عائشة رضي الله عنها قال ﷺ: «اكْلَفوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يَمَلُّ حتىٰ تَمَلُّوا، وإن أحبَّ العمل إلىٰ الله أدومُه وإنْ قلَّ » رواه أبو داود.

2 .**أن يقوموا بأداء جميع الحقوق التي عليهم، دون أن يشغلهم حق عن أداء حقّ**، ولا يحملهم أداء واجب علىٰ إهمال واجب آخر: فعن عائشة رضي الله عنها: «بعثَ رسول الله ﷺ إلىٰ عثمان بن مظعون: أرغبةً عن سنتي ؟ فقال عثمان: لا والله يا رسول الله ولكن سنتك أطلب، فقال ﷺ: فإني أنام وأصلِّي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فاتقِ الله يا عثمان، فإن لأهلك عليك حقاً، وإن لضيفك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، فقم وأفطر، وصلِّ ونمْ» رواه داود.

3 .**أنه كان ﷺ يحذر من المشادّة في الدين**: فعن أبي هريرة ﷺ قال ﷺ: «إن الدين يُسر، ولن يُشاد الدين أحد إلاّ غلبه، فسدّدوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والرُّوحة وشيء من الدُّجْمة، والقصدَ القصدَ تبلغوا» رواه البخاري.

والمعنىٰ: الزموا القصد أي: التوسط في الأمر تبلغوا المقصود وهو فضل الله تعالىٰ ورضوانه.

4 .**أنه كان يكره للإنسان أن يتكلف من العبادات نوافل فوق طاقته**، خوف القطيعة، وتحذيراً من الترك: فعن أنس ﷺ قال ﷺ: «إن هذا الدين متين، فأَوْغِلُوا فيه برفق » رواه أحمد.

قال الغزالي: أراد بهذا الحديث أن يكلّف نفسه أعمالَ الدين بتلطّف وتدريج، فلا ينتقل دفعة واحدة إلىٰ أقصاها، إذ الطبعَ نفورٌ لا يمكن نقله عن أخلاقه الرديئة إلا شيئاً فشيئاً، فمن لم يُراع التدريج، وتوغل دفعة واحدة، ترق إلىٰ حالة تشقُّ عليه، فتنعكس أموره، فيصير ما كان محبوباً عنده ممقوتاً، وما كان

مكروهاً عنده يصير مشرباً هنيئاً لا ينفر عنه، وهذا لا يُعرف إلا بالتجربة والذوق».

5. **أنه كان يحذّر من الدخول في العبادات على كراهية أو كسل**، بل يدخلها على جد ونشاط في العمل: فعن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ دخل المسجد فإذا حبل مدود بين الساريتين، فقال: ما هذا الحبلُ ؟ قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فُتّرت تعلّقتْ به، فقال النبي ﷺ: حُلُوه، ليصلّ أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرُقُد» رواه الشيخان.

فمن اعتراه الفتور في حال تطوعاته أو قيامه في الليل، بسبب تعب شديد أو نوم ثقيل، فعليه أن يقف عن ذلك، ريثما يذهب عنه ذلك الفتور والكسل، ثم يتابع سيره في العبادة.

وعن عائشة رضي الله عنها قال ﷺ: «إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرُقُد، حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعلّه يذهب يستغفرُ فيسبُّ نفسه» رواه أحمد: أي يدعو على نفسه وهو لا يشعر، لثقل نعاسه.

6. **تحذيرُه من الإكثار والنشاط للعبادات والنوافل، ثم التقاعس عنها**، والفتور على وجه يقصر عن حد السنة التي سنّها ﷺ في ذلك العمل.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «إن لكل شيء شِرَّة، ولكل شيء فترة، فإن صاحبَها سُدَّدَ وقارَبَ فارجوه، وإن أشير إليه بالأصابع فلا تعدوه » رواه الترمذي.

وفي هذه الأحاديث النبوية تنبيهات وإرشادات للمسلمين، إلى الاستمرار على التقوى والعبادات، والتزام الطاعات والقربات، على وجه دائم، دون أن

يُقبل أحدهم على العبادة بهمة ونشاط، ويحمل نفسه من النوافل فوق طاقته، ثم إنه بعد ذلك يفتر ويملُ، ويترك أو يقصرّ عن حدّ السنة.

ثالثاً: تهجده ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿ومن الليل فتهجّد به نافلةً لك، عسى أن يبعثك ربُّك مقامًا محمودًا﴾.

فصاحب مقام النفل الأكمل والفضل الأول، هو سيدنا محمد ﷺ الذي أعطاه الله تعالى أعلى رتبة في النافلة، ورتب على ذلك المقام المحمود الذي تحمده عليه الخلائق كلهم: الأولون والآخرون، وهو مقام الشفاعة العامة العظمى: فعن ابن عمر ﷺ قال ﷺ: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثّاً، كلُّ أمة تتبع نبيّها - يقولون: يا فلان اشفع لنا، حتى تنتهي الشفاعة إليَّ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود» رواه البخاري.

ويتعلق بتهجده ﷺ ما يلي:

1. وقت قيامه ﷺ متهجداً:

والمتهجد ينال فضائل تجليات الرب عزَّ وجل في الثلث الثاني والثلث الأخير، فعن أبي هريرة ﷺ قال ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: مَن يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟، من يستغفرني فأغفر له حتى ينفجر الفجر » رواه الشيخان.

فكان أغلب قيامه ﷺ لصلاة الليل في أول النصف الثاني من الليل، فعن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان ينام أول الليل، ويحيي آخره» رواه الشيخان.

والمراد بأول الليل ههنا: الأولية النسبية، وهي ما بعد صلاة العشاء، وما يتصل بها من أوراد وقراءات مطلوبة بعد الصلاة وقبل النوم، فإنه قد صح عن النبي ﷺ أنه كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها.

وكانت له ﷺ أوراد وقراءات قبل أن ينام: فعن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان لا ينام حتىٰ يقرأ بني إسرائيل ـ أي: سورة الإسراء ـ والزمر » رواه أحمد والترمذي وصححه.

وعن جابر ﷺ: «أن النبي ﷺ كان لا ينام حتىٰ يقرأ: الٓمٓ تنزيل السجدة، وتبارك الذي بيده الملك» رواه الترمذي والنسائي.

وعن العِرْبَاض بن سارية ﷺ: «كان رسول الله ﷺ يقرأ المسبَّحات قبل أن يرقد، وقال: فيهن آيةٌ أفضل من ألف آية » رواه أحمد وأصحاب السنن، والمسبَّحات ستُ: «الحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن، وسبح اسم ربك الأعلىٰ».

2 .أذكاره ﷺ حين يستيقظ لصلاة الليل:

كان رسول الله ﷺ إذا استيقظ من منامه لصلاة الليل، يمسح النوم عن وجهه بيده، ويرفع رأسه إلىٰ السماء، ثم يكبر عشراً، ويحمد عشراً، ويقول: «سبحان الله وبحمده» عشراً، ويقول: «سبحان الملك القُدُّوس» عشراً، ويستغفر الله عشراً، ويهلّل عشراً، ويقرأ خواتيم سورة آل عمران، ويقول: «اللهم إني أعوذ بك من ضيق الدنيا، وضيق يوم القيامة» عشراً، ويدعو بقوله: «لا إله إلا أنت، سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك لذني، وأسألك رحمتك، اللهم زدني عليا، ولا تُزَغْ قلبي بعد إذ هديتني، وهَبْ لي من لدنك رحمةً، إنك أنت الوهاب».

فعن ابن عباس ﷺ أنه بات عند ميمونة زوج النبي ﷺ وهي خالته، لينظر كيف صلاة رسول الله ﷺ بالليل، قال ابن عباس: فاضطجعت في عرض الوسادة، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها، فنام رسول الله ﷺ حتىٰ إذا انتصف الليل، أو قبله بقليل، أو بعده بقليل استيقظ رسول الله ﷺ من منامه، فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر آياتِ الخواتيمِ من سورة آل عمران. ثم استوىٰ علىٰ فراشه قاعداً، ورفع رأسه إلىٰ السماء، فقال: «سبحان الملك القدوس » ثلاث مرات، ثم قرأ الآيات من آخر سورة آل عمران، ثم قام إلىٰ شنّ معلقةٍ، فتوّضا منها فأحسن وضوءه، ثم قام يصلي.

قال ابن عباس ﷺ: فقمت فصنعت مثل ما صنع، ثم ذهبت فقمت إلىٰ جنبه، فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنىٰ علىٰ رأسي، وأخذ بأذني اليمنىٰ يفتلها، فصلىٰ ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوتر، ثم اضطجع، حتىٰ جاء المؤذن، فقام فصلىٰ ركعتين خفيفتين، ثم خرج فصلىٰ الصبح» رواه الشيخان.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا هبَّ من الليل واستيقظ كبر عشراً، وحمد الله عشراً، وقال: « سبحان الله وبحمده » عشراً، وقال: «سبحان الملك القدوس» عشراً، واستغفر عشراً، وهلَّل عشراً، ثم قال: «اللهم إني أعوذ بك من ضيق الدنيا، وضيق يوم القيامة » عشراً، ثم يفتتح الصلاة أي: صلاته في الليل» رواه أبو داود.

3. إطالته ﷺ في صلاة الليل:

كان رسول الله ﷺ يُطيل القراءة في صلاة الليل، ويُطيل الركوع فيها والسجود، ويكثر من الدعاء في سجوده، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «قام رسول الله ﷺ حتىٰ تورَّمت قدماه» رواه الشيخان.

وعن عائشة رضي الله عنها : فقلت له: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك، وما تأخر؟ قال: « أفلا أكون عبداً شكوراً ﷺ» رواه الشيخان.

4 .أدعيته ﷺ في سجود الليل:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ يقول في سجوده: «اللهم اغفر لي ذنبي كلّه، دِقّهُ وجِلّهُ، أوّلُهُ وآخره، سرّه وعلانيته» رواه مسلم.

وعن عائشة رضي الله عنها: «فقدتُ رسول الله ﷺ ليلةً من الفراش، فالتمستُه في البيت وجعلت أطلبه، فوقعتْ يدي علىٰ بطن قدميه، وهو في السجود، وهما منصوبتان، وهو يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ علىٰ نفسك» رواه مسلم.

وعن ابن عباس لمّا بات عند خالته ميمونةَ زوج النبي ﷺ ليرىٰ كيف صلاة رسول الله ﷺ في الليل قال: فتكاملت صلاة رسول الله ﷺ ثلاثَ عشرةَ ركعةً، ثم نام حتىٰ نفخ، وكنا نعرفه إذا نام بنفخه، ثم خرج إلىٰ الصلاة، فصلىٰ فجعل يقول في صلاته: «اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي سمعي نوراً، وفي بصري نوراً، وعن يميني نوراً، وعن شمالي نوراً، وأمامي نوراً، وخلفي نوراً، وفوقي نوراً، وتحتي نوراً، واجعل لي نوراً » رواه مسلم.

5 .هيئات صلاته ﷺ النافلة في الليل:

كانت هيئة صلاته ﷺ النافلة في الليل على أنواع ثلاثة:

أ.أنه ﷺ كان يكثر صلاته قائماً، فعن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها: «ما رأيت رسول الله ﷺ صلّى في سُبحته قاعداً حتى كان قبل وفاته بعام، فكان يصلي في سبحته قاعداً، ويقرأ بالسورة فيرتليها حتى تكون أطول من أطول منها» رواه مسلم: أي: حتى تكون السورة القصيرة بسبب ترتيلها أطول من سورة أطول منها خلت عن الترتيل.

ب. أنه ﷺ كان يصلي قاعداً، ويركع قاعداً، فعن عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يصلي ليلًا طويلًا قائمًا؛ وليلًا طويلًا قاعدًا، وكان إذا قرأ قائمًا ركع قائمًا، وإذا قرأ وهو قاعد ركع وسجد وهو قاعد» رواه الشيخان.

ج.أنه ﷺ كان يقرأ قاعدًا، فإذا بقي يسير من قراءته، قام فركع قائمًا، فعن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ كان يصلي ـ أي: النافلة ـ جالسًا، ويقرأ وهو جالس، فإذا بقي من قراءته قدر ما يكون ثلاثين آية، أو أربعين آية، قام وقرأها وهو قائم.. » رواه الشيخان.

وكان ﷺ يُرشد من نام عن حزبه من الليل أن يأتي به ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، فيكتب له كأنما أتى به في الليل: فعن عمر رضي الله عنه قال ﷺ: «مَنْ نام عن حزبه من الليل، أو عن شي منه، فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه من الليل» رواه مسلم.

وعن عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الصلاة من الليل من وجعٍ أو غيره، صلّى من النهار ثني عشرة ركعة» رواه مسلم1 : 515.

رابعاً: نوافله ﷺ:

1 .صلاته ﷺ في الضحى:

فعن عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يصلي الضحى أربعاً ويزيد ما شاء الله» رواه مسلم.

وعن أنس ﷺ : «أن النبي ﷺ كان يُصلي الضحى ستّ ركعات» رواه الترمذي.

وعن أم سلمة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يصلي الضحى اثنتي عشرة ركعة» رواه الحاكم.

ولا تنافي بين هذه الروايات، فقد صلى رسول الله ﷺ الضحى تارةً ركعتين وهو أقلها، وتارةً أربعاً وهو الأغلب، وتارةً ستّاً، وتارةً ثمانية، وتارةً اثنتي عشرة، وذلك أفضلها وأكثرها.

2 .نوافله ﷺ بين المغرب والعشاء:

فعن محمد بن عَمَّار بن ياسر ﷺ: «رأيت عَمار بن ياسر ﷺ يصلي بعد المغرب ستّ ركعاتٍ، وقال: رأيت حبيبي رسول الله ﷺ يصلي بعد المغرب ستّ ركعاتٍ، وقال: مَنْ صلى بعد المغرب ستَّ ركعات غُفِرتْ له ذنوبه؛ وإن كانتْ مثلَ زَبَد البحر » رواه الطبراني.

وعن أبي هريرة ﷺ قال ﷺ: «من صلى بعد المغرب ستَّ ركعاتٍ لم يتكلم فيها بينهنّ بسوءٍ عُدِلْنَ بعبادة ثنتي عشرة سنة» رواه ابن ماجه وابن خزيمة والترمذي.

وما يتعلق بالسنن الواردة قبل الفروض الخمسة والجمعة وبعدها وما يتعلق بالصيام والصدقات والحج، فهو مفصل في كتب الفقه والسنن.

خامساً: متفرقات من صورة تعبده ﷺ[1]:

الكلام في عبادته ﷺ طويل لا نهاية له، ونقتصر هاهنا على ذكر مقتطفات من ذلك يسترشد بها، ومنها:

1. خفة صلاته إماماً، فعن أنس ﷺ: «كان ﷺ أخف الناس صلاة في تمام» رواه مسلم والترمذي والنسائي وصححه السيوطي: أي أخف الناس صلاة إذا صلى إماماً لا منفرداً، متماً للأركان.

وعن أبي واقد ﷺ: «كان ﷺ أخف الناس صلاة على الناس وأطول الناس صلاة لنفسه» رواه أحمد وأبو يعلى وصححه السيوطي.

2. زيادة العطاء في رمضان، فعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ إذا دخل رمضان أطلق كل أسير، وأعطى كل سائل» رواه ابن سعد وضعفه السيوطي.

3. يشد مئزره في رمضان، فعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ إذا دخل رمضان شد مئزره ثم لم يأت فراشه حتى ينسلخ » رواه البيهقي في الشعب وحسنه السيوطي: كان إذا دخل شهر رمضان شد مئزره، وهو كناية عن الاجتهاد في العبادة ثم لم يأت فراشه حتى ينسلخ أي يفرغ.

وعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ إذا دخل رمضان تغير لونه وكثرت صلاته وابتهل في الدعاء وأشفق لونه» رواه البيقهي في الشعب وضعفه السيوطي.

وعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله» رواه أبو داود والنسائي وصححه السيوطي.

---

(1) مستفادة من الجامع الصغير للسيوطي مع شرح للمناوي.

4.يضطجع بعد ركعتي الفجر، فعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ إذا صلى ركعتي الفجر اضطجع على شقه الأيمن» رواه البخاري: أي ليفصل بين الفرض والنفل.

5.المداوة على العبادة، فعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ إذا صلى صلاة أثبتها» رواه مسلم: أي داوم عليها بأن يواظب على إيقاعها في ذلك الوقت أبداً.

6.كثرة صيامه، فعن أبي هريرة ﷺ: «كان ﷺ أكثر ما يصوم الاثنين والخميس فقيل له فقال: الأعمال تعرض كل اثنين وخميس، فيغفر لكل مسلم إلا المتهاجرين فيقول: أخروهما» رواه أحمد وحسنه السيوطي.

وعن أم سلمة رضي الله عنها: «كان ﷺ أكثر صومه السبت والأحد ويقول: هما يوما عيد المشركين، فأحب أن أخالفهم» واه أحمد والطبراني في الكبير والحاكم وصححه السيوطي.

وعن ابن عباس ﷺ: «كان ﷺ لايدع صوم أيام البيض في سفر ولا حضر» رواه الطبراني في الكبير وحسنه السيوطي.

7.الاجتهاد في العشر الأواخر لرمضان، فعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها» رواه مسلم.

8.يصلي قبل العصر ركعتين، فعن علي ﷺ: «كان ﷺ يصلي قبل العصر ركعتين» رواه أبو داود، وصححه السيوطي.

9.يصلي على الحصير، فعن المغير ﷺ: «كان ﷺ يصلي على الحصير والفروة المدبوغة» رواه أحمد أبو داود الحاكم وصححه السيوطي.

10.يكره التثاؤب، فعن أبي أمامة ﷺ: «كان ﷺ يكره التثاؤب في الصلاة» رواه الطبراني في الكبير وحسنه السيوطي.

11. ينام أول الليل ويحيي آخره، فعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ ينام أول الليل ويحيي آخره» رواه ابن ماجة وحسنه السيوطي: كان ينام أول الليل بعد صلاة العشاء إلى تمام نصفه الأول؛ لأنه كره النوم قبلها، ويحيي آخره؛ لأن ذلك أعدل النوم وأنفعه للبدن والأعضاء والقوة، فإنه ينام أوله ليعطي القوة حظها من الراحة ويستيقظ آخره ليعطيها حظها من الرياضة والعبادة، وذلك غاية صلاح القلب والبدن والدين.

سادساً: دعاؤه ﷺ:

كان رسول الله ﷺ يُكثر من الدعاء، ويرغب فيه، ويحبُّ عليه، في مناسبات متعددة، وذلك لأن الدعاء نوع من العبادة: فعن النعمان بن بشير ﷺ قال ﷺ: «الدعاء هو العبادة» ثم قرأ، وقال ربكم: {ادعوني استجبْ لكم، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين}» رواه أصحاب السنن وصححه الترمذي: أي: ذليلين صاغرين.

وعن أنس ﷺ قال ﷺ: «الدعاء مُخُ العبادة» رواه الترمذي: أي خالصها، وذلك باعتبار أن الداعي يدعو الله تعالى عند انقطاع أمله عما سواه، وفي ذلك حقيقة التوحيد والإخلاص. كما أن في الدعاء إظهار الافتقار، لسلطان العزيز الجبار، وفيه التبرُؤ من الحول والقوة، وهو سِمة العبودية، واستشعار التذلل لعزة الربوبية. كما أن الدعاء يتضمن الثناء على الله تعالى، والاعتراف له بأنواع الفضل والكرم.

والدعاء مفتاح الرحمة الإلهية: فعن ابن عمر ﷺ قال ﷺ: «من فتح له باب الدعاء، فتحت له أبواب الرحمة، وما سُئل الله تعالىٰ شيئاً أحبّ إليه من أن يُسأل العافية.. » رواه الترمذي.

والدعاء فيه استمداد القوة، وهو سلاح قاصم: فعن علي ﷺ قال ﷺ: «ألا أدلّكم علىٰ ما يُنجيكم من عدوكم، ويُدرّ لكم أرزاقكم؟ تدعون الله في ليلكم ونهاركم، فإن الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السموات والأرض» رواه أبو يعلىٰ والحاكم وصححه.

والدعاء فيه إرضاءُ الله تعالىٰ: فعن أبي هريرة ﷺ قال ﷺ: «مَنْ لم يسأل الله يغضب عليه » رواه والترمذي وصححه ابن حبان.

1 .آدابه ﷺ في الدعاء:

أ.كان ﷺ يرفع يديه في الدعاء حَذُّو منكبيه، وقد جاء ذلك في كثير من أدعيته، دعا بها في مناسبات متعددة، وقد جمع النووي في شرح المهذب نحواً من ثلاثين حديثاً في ذلك ـ أي: في رفع يديه ﷺ في الدعاء ـ، فعن سليمان الفارسي ﷺ قال ﷺ: «إن الله حي كريم، يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين» رواه أبو داود والترمذي وحسنه.

ب.كان ﷺ يدعو مشيراً بباطن كفيه نحو السماء تارةً إن كان الدعاء بنحو تحصيل شيء، وبظاهرهما إلى السماء تارةً إن دعا بنحو دفع بلاء، كما رواه أنس ﷺ في سنن أبي داود.

وعن أبو موسىٰ الأشعري ﷺ: «دعا النبي ﷺ ثم رفع يديه حتىٰ رأيت بياض إبطيه» رواه البخاري.

ج. كان ﷺ يبالغ في رفع يديه في الاستسقاء، وفي مواقف الاستغاثة بالله عز وجل، والاستنصار على الأعداء: ففي «الصحيحين»: «أنه ﷺ رفع يديه يوم بدر يستنصر على المشركين حتى سقط رداؤه عن منكبيه ﷺ».

د. كان ﷺ إذا رفع يديه في الدعاء لم يحطِهما حتى يمسحَ بهما وجهه: فعن بُريدة ﷺ: «أن النبي ﷺ كان إذا دعا فرفع يديه: مسح وجهه بيديه» رواه أبو داود، وذلك عند فراغه من الدعاء، تفاؤلاً وتيمّناً أن كفيه مُلئا خيراً، فأفاض منه على وجهه.

هـ. كان يستقبل القبلة في دعائه: فعن عمر ﷺ: «أن النبي ﷺ لما أنزلت عليه عشر آيات من أول سورة: قد أفلح المؤمنون ﷺ قال عمر: فاستقبل القبلة، ورفع يديه ﷺ وقال: اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تُهَنّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارضَ عنا..» رواه أحمد.

و. كان ﷺ يرشد الداعي إلى أن يفتح دعاءه بالثناء على الله تعالى: فعن عبد الله بن أبي أوفي ﷺ: «خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً، فقعد فقال: من كانت له حاجة إلى الله أو إلى أحد من بني آدم، فليتوضأ، وليُحْسِنِ الوضوء، ثم ليصلُ ركعتين، ثم ليُثْنِ على الله عزَّ وجلَّ، وليصلُ على النبي ﷺ، ثم ليقل: لا إله إلا الله الحليمُ الكريمُ، سبحان الله ربَّ العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل برٍّ، والسلامة من كل إثم، لا تدعْ لي ذنباً إلا غفرته، ولا هما إلا فرجته، ولا حاجة هي لك رضاٌ إلا قضيتها يا أرحم الراحمين» رواه الترمذي.

وعن سلمة بن الأكوع ﷺ: «كان رسول الله ﷺ يستفتح دعاءه بـ«سبحان ربي العليِّ الأعلى الوهاب»» رواه أحمد والحاكم.

س.الصلاة عليه ﷺ أول الدعاء، وأوسطه، وآخره: فعن جابر ﷺ قال ﷺ: «اجعلوني في أول الدعاء وأوسطه وآخره» رواه أحمد.

وعن علي ﷺ: «كلُّ دعاءٍ محجوبٌ حتىٰ يصلّي علىٰ محمد ﷺ» رواه الطبراني.

وعن عمر ﷺ: «إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتىٰ تصلي علىٰ نبيّك ﷺ» رواه الترمذي.

ح.الإلحاح فيه: فعن ابن مسعود ﷺ: «أن النبي ﷺ كان يُعجبه أن يدعو ثلاثاً، ويستغفر ثلاثاً» رواه أبو داود، وعن عائشة رضي الله عنها قال ﷺ: «إن الله يحب المُلِحِين في الدعاء» رواه البيهقي في الشعب.

ط.تطيب المأكل والمشرب والملبس، وذلك بأن يكون حلالاً: فعن أبي هريرة ﷺ قال ﷺ: «إن الله تعالىٰ طيّب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله تعالىٰ أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً.. ﴾ الآية، وقال تعالىٰ: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيّبات ما رزقناكم، واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ ثم ذكر ﷺ الرجل يُطيل السفر أشعثَ أغبرَ، يمدُّ يديه إلىٰ السماء: يا ربّ ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وعُذِي، بالحرام، فأني يستجابُ لذلك ؟» رواه مسلم.

ك.عدم استعجال الداعي، بأن يقول: قد دعوتُ ربي فلم يُستجَب لي، فإن ذلك يُبعد الإجابة، فعن أبي هريرة ﷺ قال ﷺ: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، فيقول: قد دعوت فلا أو فلم يستجب لي» رواه مسلم.

ل.كان ﷺ يُرشد الداعي إلى ختم دعائه بالتأمين؛ لتحصل الإجابة: فعن أبي زهير النميريّ ﷺ: «خرجنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة نمشي، فأتينا علىٰ

رجلٍ قد ألحّ في المسألة، فوقف النبي ﷺ يستمع منه، فقال النبي ﷺ: أوجَبَ إن ختمه، فقال رجل من القوم: بأي شيءٍ يختمه؟ فقال بآمين، فإنه إن ختمه بآمين فقد أوجَبَ» رواه أبو داود.

م.**كان ﷺ يرشد الداعي إلى أن يوقن بالإجابة**، وأن يدعو عن قلبٍ شاهد، لا عن قلب غافل: فعن ابن عمرو ﷺ قال ﷺ: «القلوب أوعية، وبعضها أوعىٰ من بعض، فإذا سألتم الله عزّ وجلّ يا أيّها الناس، فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة، فإن الله لا يستجيب لعبدٍ دعاءه عن ظهر قلبٍ غافلٍ» رواه أحمد.

ن.**كان ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء**: فعن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان يستحبُّ الجوامع من الدعاء، ويَدَع ما سوىٰ ذلك» رواه أبو داود، نحو: ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنةٌ وقنا عذاب النار، فعن أنس ﷺ قال: «كان أكثرُ دعاء النبي ﷺ: اللهمَّ: ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنةٌ، وقنا عذاب النار» رواه الشيخان.

2 .**من أدعيته الجامعة ﷺ**:

«اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادةً لي من كلّ خير، واجعل الموت راحةً لي من كلّ شرّ».

«ربّ أعني ولا تُعنْ عليّ، وانصرُني ولا تنصرُ عليّ، وامكرُ لي ولا تمكر عليّ، واهدني ويَسَّرُ لي المُهدىٰ، وانصرُني علىٰ من بغىٰ عليّ، ربّ اجعلني لك ذكاراً، لك شكاراً، لكَ رهاباً، مطُواعاً لك، مُخْبِتاً إليك، أوَّاهاً منيباً. ربّ تقبَّل توبتي، واغسل حَوْبتي، وأجبْ دعوتي، وثبِّت حُجَّتي، وسَدِّدْ لساني، واهدِ قلبي، واسَلْلْ سخيمة صدري».

«اللهم إني أعوذ بك من الهمّ والحُزْن، والعجز والبخل، والجبن وضَلَع الدَّين وغلبة الرجال »، رواه البخاري.

«اللهم إني أعوذ بك من الشَّقاق والنفاق، وسوء الأخلاق»رواه أبو داود.

3 .أدعيته ﷺ في مناسبات متعددة:

أ.دعاؤه ﷺ إذا أراد أن ينام: كان رسول الله ﷺ يقول عند مضجعه: «اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم، وبكلماتك التامّة، من شرّ ما أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت تكشف المُغْرَم والمأثم، اللهم لا يُهزم جندُك، ولا يُخْلَف وعدك، ولا ينفع ذا الجُدّ منك الجُدُّ، سبحانك وبحمدك» رواه أبو داود والنسائي.

وكان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنىٰ تحت خده ثم يقول: «اللهم قِني عذابك يوم تبعث عبادك» ثلاث مرات رواه أبو داود.

وكان إذا أوىٰ إلىٰ فراشه: قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم مِمَّن لا كافي له ولا مُؤوي» رواه مسلم.

ب.دعاؤه ﷺ إذا استيقظ من نومه: كان ﷺ إذا أوىٰ إلىٰ فراشه قال: «باسمك أموت وأحيا»، وإذا قام قال: « الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور » رواه الشيخان.

ج.دعاؤه ﷺ إذا دخل الخلاء وإذا خرج منه: فعن أنس ﷺ قال: «كان النبي ﷺ يقول إذا دخل الخلاء: بسم الله، اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخباث» رواه البخاري.

وعن عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يقول إذا خرج من الخلاء: غفرانك» رواه أصحاب السنن.

د.دعاؤه ﷺ إذا خرج من بيته: فعن أم سلمة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ إذا خرج من بيته قال: « بسم الله، توكّلتُ على الله، اللهم إني أعوذ بك أن أضِلّ أو أَضَلّ أو أَزَلّ أَزَلّ، أو أَظْلِم أو أَظْلَم، أو أجهل أو يُجهل عليّ» رواه أصحاب السنن.

هـ.دعاؤه إذا توجّه إلى المسجد، وإذا دخله، وإذا خرج منه: فعن ابن عباس ﷺ : «أن النبي ﷺ خرج إلى الصلاة وهو يقول: «اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وخلفي نوراً، وفي عصبي نوراً، وفي لحمي نوراً، وفي دمي نوراً، وفي شعري نوراً، وفي بشري نوراً» رواه أبو داود.

وعن فاطمة رضي الله عنها، قال ﷺ: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد يقول: بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج قال: بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك» رواه أحمد.

و.دعاؤه ﷺ إذا أصبح وإذا أمسى: فعن أبي هريرة ﷺ: «كان رسول الله ﷺ إذا أصبح قال: «اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا وبك نموت، وإليك النشور» وإذا أمسى قال: «اللهم بك أمسينا، وبك أصبحنا، وبك نحيا وبك نموت، وإليك النشور» رواه أبو داود والترمذي.

وكان صلى الله عليه وسلم إذا أمسى قال: «أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله، لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، ربّ أسألك خيرًا في هذه الليلة، وخيرًا بعدها، وأعوذ بك من شرٍّ ما في هذه الليلة، وشرٍّ ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل والهرم، وسوء الكِبَر، أعوذ بك من عذابٍ في النار، وعذابٍ في القبر» رواه مسلم.

س. من أدعيته من المناسبات:

كان ﷺ إذا أهمَّه الأمر رفع رأسه إلى السماء، وقال: «سبحان الله العظيم».

وإذا اجتهد في الدعاء قال: «ياحيُّ يا قيُّوم» رواه الترمذي.

وكان ﷺ إذا أراد أمراً قال: « اللهم خِرْ لي واختر لي » رواه الترمذي.

وكان ﷺ إذا استجدَّ ثوباً سمَّاه باسمه: قميصاً، أو عمامةً، أو رداءً، ثم يقول: « اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك من خيره، وخير ما صُنع له، وأعوذ بك من شرِّه، وشرِّ ما صُنع له » رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

وكان ﷺ إذا رأى المطر قال: « اللهم صِيِّباً نافعاً » رواه أصحاب السنن.

وكان ﷺ إذا رأى الهلال قال: «اللهم أهله علينا باليمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربي وربُّك الله » رواه أحمد والترمذي.

وكان ﷺ إذا كانت ليلة الجمعة قال: « هذه ليلة غرّاءُ ويوم أزهر» رواه البيهقي وابن عساكر.

وكان ﷺ إذا عصفت الريح ـ أي: اشتدّت وهاجتْ ـ قال: «اللهم إني أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أُرسلتْ به، وأعوذ بك من شرّها، وشرّ ما فيها، وشر ما أُرسلت به » رواه مسلم.

وكان ﷺ إذا تصور ـ أي تقلب أثناء النوم ـ من الليل قال: «لا إله إلا الله الواحد القهار، ربُّ السماوات والأرض وما بينها، العزيز الغفّار» رواه النسائي.

وكان ﷺ إذا دخل السوق قال: «بسم الله، اللهم إني أسألك من خير هذه السوق، وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرّها وشرِّ ما فيها، اللهم إني أعوذ بك أن أُصيب فيها يميناً فاجرة ـ أي: كاذبة ـ أو صَفقةً خاسرةً » رواه الطبراني.

وكان ﷺ إذا أُتي بباكورة الثمرة وضعها على عينيه، ثم على شفتيه، وقال: «اللهمّ كما أريتَنا أوَّله فأرنا آخره، ثم يعطيه مَنْ يكون عنده من الصبيان» رواه الطبراني.

وكان ﷺ إذا قُرِّب إليه طعامه قال ﷺ: « بسم الله »، فاذا فرغ قال: اللهم إنك أطعمتَ وسقيتَ، وأغنيتَ وأقنيتَ، وهديتَ واجتبيتَ، اللهم فلك الحمد على ما أعطيتَ» رواه النسائي.

وكان ﷺ إذا أفطر من صومه قال: «اللهم لك صُمتُ، وعلى رزقك أفطرتُ، فتقبَّل مني، إنك أنت السميع العليم» رواه أبو داود.

وكان ﷺ إذا أفطر عند قوم قال في دعائه لهم: «أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وتنزّلت عليكم الملائكة» رواه أحمد والبيهقي.

وكان ﷺ إذا أكل عند قوم دعا لهم فقال: « أكل طعامكم الأبرار، وصلّت عليكم الملائكة، وأفطر عندكم الصائمون» رواه أحمد والبزار.

وكان ﷺ إذا رَفّأَ الإنسان إذا تزوّج قال له: « بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير» رواه أصحاب السنن.

وكان ﷺ يعلّم الرجل إذا تزوّج امرأة أن يقول: «اللهم إني أسألك خيرها، وخيرَ ما جَبَلْتَها عليه، وأعوذ بك من شرّها، وشرّ ما جَبَلْتَها عليه » رواه أبو داود وأبو يعلى.

وكان ﷺ يقول عند الكرب: « لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله ربُّ العرش العظيم، لا إله إلا الله ربُّ السموات وربُّ الأرض، وربّ العرش الكريم » رواه الشيخان.

وكان ﷺ يقول إذا كَرَبَه أمر: «يا حَيُّ يا قِيومُ، برحمتك أستغيث» رواه الترمذي.

وكان ﷺ إذا خاف قوماً قال: « اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم » رواه أبو داود والنسائي.

وكان ﷺ إذا عاد مريضاً يمسح بيده اليمنىٰ ويقول: « اللهم ربُّ الناس، أذهب البأس، اشْفِ أنت الشافي، لا شفاءَ إلا شفاؤك، شفاءٌ لا يغادر ـ أي: لا يترك ـ سقماً » رواه الشيخان.

وكان ﷺ إذا عاد مريضاً جلس عند رأسه ثم قال سبع مرات: «أسأل الله العظيم، ربَّ العرش العظيم أن يشفيك» رواه ابن حبان .

وكان ﷺ يعلّم الذي يفزع بالليل، أو يعتريه الأرق أن يقول: «أعوذ بكلمات الله التامَّات، من غضبه وعقابه، وشرّ عباده، ومن همّزات الشياطين، وأن يحضرّون، وكان ابن عمرو يُلقِّها من عَقَل من ولده، ومن لم يَعْقِل كتبها له في صكٍّ، ثم علَّقها في عنقه» رواه أبو داود والترمذي.

وكان ﷺ إذا أراد أن يقوم من المجلس يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، فقال رجل: يا رسول الله إنك لتقول قولًا ما كنتَ تقوله فيما مضىٰ ؟ فقال ﷺ: ذلك كفّارةٌ لما يكون في المجلس » رواه أبو داود والنسائي.

وكان ﷺ إذا ودّع رجلاً قال له: «أستودعُ الله دينك وأمانتك، وخواتيم عملك وأقرأ عليك السلام » رواه الترمذي وأبو داود.

وكان ﷺ إذا استوىٰ علىٰ بعيره، خارجاً إلى السفر، كبّر ثلاثاً، ثم قال: «سبحان الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مُقْرِنِينَ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون. اللهم إنا

نسألك في سفرنا هذا البرّ والتقوىٰ، ومن العمل ما ترضى. اللهم هوّن علينا سفرنا هذا، واطوِ عنا بُعْدَه. اللهم أنتَ الصاحب في السفر. اللهم إني أعوذ بك من وَعْثَاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلّب في المال والأهل» .

وإذا رجع ـ من سفره ـ قَافِلِنٌ وزاد فيهنّ: «آيبونَ تائبون، عابدون، لربنا حامدون» رواه مسلم.

وكان ﷺ إذا خرج إلىٰ المقبرة قال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» رواه مسلم.

وكان دعائه ﷺ للحاجّ: «اللهم اغفِرْ للحاجّ، ولمن يستغفر له الحاج» رواه البيهقي.

4. تتمة في أدعية متفرقة للنبي ﷺ[1]:

لا حصر للأدعية الواردة عن حضرة النبي ﷺ في سائر أحوال اليوم والليلة ومنها تكملة لما سبق:

ـ دعاء عند اشتداد الريح: فعن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: «كان ﷺ إذا اشتدت الريح الشمأل قال: اللهم إني أعوذ بك من شر ما أرسلت فيها» رواه ابن السني والطبراني في الكبير وحسنه السيوطي.

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: «كان ﷺ إذا اشتدت الريح قال: اللهم لقحاً لا عقيماً» رواه ابن حبان والحاكم وصححه السيوطي.

---

(1) مستفادة من الجامع الصغير للسيوطي مع شرح للمناوي.

وعن ابن عمر ﷺ: «كان ﷺ إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال: اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك» رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححه السيوطي.

ـ دعاء للمرض ورقياه: فعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات، ومسح عنه بيده» رواه أبو داود وابن ماجة، وصححه السيوطي.

وعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ إذا اشتكى ورقاه جبريل، قال: باسم الله يبريك من كل داء يشفيك ومن شر حاسد إذا حسد وشر كل ذي عين» رواه مسلم.

ـ دعاء بعد الصلاة: فعن ثوبان ﷺ: «كان ﷺ إذا انصرف من صلاته: استغفر ثلاثاً ثم قال: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام» رواه مسلم.

ـ دعاء ختم المجلس: فعن أبي أمامة ﷺ: «كان ﷺ إذا جلس مجلساً فأراد أن يقوم استغفر عشراً إلى خمس عشرة» رواه ابن السني وضعفه السيوطي.

ـ دعاء المصائب: فعن عبد الله بن جعفر ﷺ: «كان ﷺ إذا حزبه أمر قال: لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين» رواه أحمد: أي كان إذا حزبه بضبط ما قبله أمر قال: مستعينا على دفعه لا إله إلا الله الحليم الذي يؤخر العقوبة مع القدرة الكريم الذي يعطي النوال، بلا سؤال سبحان الله رب العرش العظيم الذي لا يعظم عليه شيء الحمد لله رب العالمين.

وعن ثوبان ﷺ: «كان ﷺ إذا راعه شيء قال: الله الله ربي لا شريك له» رواه النسائي وحسنه السيوطي: أي أفزعه قال الله الله ربي لا أشرك به شيئاً: أي لا مشارك له في ملكه، فيسن قول ذلك عند الفزع والخوف.

وعن ابن عباس ﷺ: «كان يدعو عند الكرب لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع، ورب الأرض ورب العرش الكريم» رواه الترمذي وابن ماجة، وصححه السيوطي.

ـ دعاء دخول القبر: فعن ابن مسعود ﷺ: «كان ﷺ إذا دخل الجبانة ـ أي محل الدفن ـ يقول: السلام عليكم أيتها الأرواح الفانية والأبدان البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بالله مؤمنة، اللهم أدخل عليهم روحا منك وسلاما منا» رواه ابن السني وضعفه السيوطي.

ـ دعاء عيادة المريض: فعن ابن عباس ﷺ: «كان ﷺ إذا دخل على مريض يعوده قال: لا بأس طهور إن شاء الله» رواه البخاري، وصححه السيوطي.

ـ دعاء قراءة القرآن: فعن حذيفة: «كان ﷺ إذا مر بآية خوف تعوذ، وإذا مر بآية رحمة سأل، وإذا مر بآية فيها تنزيه الله سبح» رواه مسلم.

ـ دعاء النظر في المرآة: فعن أنس ﷺ: «كان ﷺ إذا نظر وجهه في المرآة قال: الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله، وكرم صورة وجهي فحسنها، وجعلني من المسلمين» رواه ابن السني وضعفه السيوطي.

ـ أحوال الدعاء: فعن عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه» رواه مسلم: أي كان يذكر الله تعالى بقلبه ولسانه بالذكر الثابت عنه من تسبيح وتهليل وتكبير وغير ذلك.

وعن أبي أيوب ﷺ: «كان ﷺ إذا دعا بدأ بنفسه» رواه الطبراني في الكبير وحسنه السيوطي: أي يبدأ بالدعاء لنفسه قبل دعائه لغيره، فإنه أقرب إلى الإجابة؛ إذ هو أخلص في الإضطرار وأدخل في العبودية وأبلغ في الافتقار.

وعن ابن عباسﷺ: «كان ﷺ إذا دعا جعل باطن كفه إلى وجهه» رواه الطبراني في الكبير وحسنه السيوطي.

ـ إجابة دعوة النبي ﷺ: فعن حذيفة ﷺ: «كان ﷺ إذا دعا لرجل أصابته الدعوة وولده وولد ولده» رواه أحمد وصححه السيوطي.

سابعاً: أذكاره ﷺ:

1. ذكر الصباح:

كان ﷺ إذا صلى الصبح ذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس:

فعن جابر بن سمرة ﷺ قال: «كان النبي ﷺ إذا صلى الفجر تربّع ـ أي: جلس متربعاً ـ في مجلسه حتى تطلع الشمس حَسَناً»رواه مسلم.

وقد أخبر النبي ﷺ عن عظيم أجر المسلم الذي يصلي صلاة الصبح في جماعة، ثم يقعد في مصلاه، يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس وترتفع، فيقوم يصلي صلاة الضحى:

فعن معاذ ﷺ قال ﷺ: «مَن قعد في مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح، حتى يسبِّح ـ أي: يصلي ـ ركعتي الضحى لا يقول إلا خيراً: غُفر له خطاياه وإن كانت أكثر من زَبَد البحر» رواه أبو داود.

وعن أبي أمامة ﷺ قال ﷺ: «مَن صلى صلاة الغداة في جماعة، ثم جلس يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس، ثم قام فصلى ركعتين: انقلب بأجرٍ حجّةٍ وعُمرةٍ» رواه الطبراني وإسناده جيّد.

2 .**تسبيحه وتحميده ﷺ:**

قال الله تعالى: ﴿ فَسَبِّح بحمد ربك وكن من الساجدين ﴾، كان ﷺ يُكثر من التسبيح والحمد لله تعالى، على وجه المحبة والشَّغف الشديد بذلك، فعن أبي هريرة ﷺ قال ﷺ: « لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر: أحبُّ إليَّ مَّا طلعتْ عليه الشمس » رواه مسلم.

فليفكّر المفكّر، وليتدبّر المتدبّر، في شغف هذا الرسول الكريم ﷺ وحبّه التسبيح والتحميد، والتهليل والتكبير لله تعالى، وأنّ مرة واحدة من هذه الصيغة الجامحة للتسبيح والحمد والتهليل والتكبير يقولها، هي أحبُّ إليه من جميع ما طلعتْ عليه الشمس من كائنات علويّة وسفليّة، وبريّة وبحريّة.

وكان ﷺ يُكثر من التسبيح في الليل والنهار: فعن ربيعة بن كعب الأسلمي ﷺ: «كنت أخدم النبي ﷺ نهاري، فإذا كان الليل أويتُ إلى باب رسول الله ﷺ فبتُ عنده، فلا أزال أسمعه يقول: سبحان الله، سبحان الله، سبحان ربي حتى تغلبني عيني فأنام» رواه الطبراني.

وكان ﷺ يعلم الصحابة جوامع من التسبيح والحمد، ويحثُهم على ذلك، فعن أبي أمامة ﷺ: «رآني رسول الله ﷺ وأنا أحرّك شفتيّ، فقال: بأيّ شيءٍ تحرّك شفتيك يا أبا أمامة ؟ فقلت: أذكر الله يا رسول الله، فقال: ألا أخبركَ بأكثر وأفضلَ من ذكرك بالليل والنهار ؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: تقول: سبحان الله عدد ما خلق، سبحان الله ملء ما خلق، سبحان الله عدد ما في الأرض والسماء، سبحان الله ملء ما في الأرض والسماء، سبحان الله عدد ما أحصى كتابه، سبحان الله ملء ما أحصى كتابه، سبحان الله عدد كلّ شيء، سبحان الله ملء كلّ شيء.

الحمد لله عدد ما خلق، والحمد لله ملء ما خلق، والحمد لله عدد ما في الأرض والسماء، والحمد لله ملء ما في الأرض والسماء، والحمد لله عدد ما أحصىٰ كتابه، والحمد لله ملء ما أحصىٰ كتابه، والحمد لله عدد كلّ شيء، والحمد لله ملء كلّ شيء » رواه أحمد.

3 .**استغفاره** ﷺ:

قال الله تعالىٰ: ﴿واستغفر الله، إن الله كان غفوراً رحيماً﴾، وقال تعالىٰ: ﴿فسبّح بحمد ربك واستغفره إنه كان توّاباً﴾.

الاستغفار: هو طلب المغفرة من الله تعالىٰ، فكان ﷺ يُكثر من الاستغفار في الليل والنهار، في الصلوات ووراء الصلوات، وفي سائر مجالسه وأحواله.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه: «كان ﷺ يقول في سجوده، اللهم اغفر لي ذنبي كلّه، دقّه وجلّه، أوّله وآخره، سرّه وعلانيته »، رواه مسلم.

وعن ثوبان رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثاً، وقال: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام»، رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه، في اليوم أكثر من سبعين مرة» رواه البخاري.

وكان في استغفاره ﷺ عبادة الله تعالىٰ، وتحققاً بالعبودية، وافتقاراً لكرم الربوبية، وتعليماً لأمته أن يُكثروا من الاستغفار، لشدة حاجتهم، وتواضعاً لرب العالمين، وهضماً للنفس.

وكان ﷺ يبين للصحابة صيغاً من الاستغفار جامعة، ويرغبهم فيها، لعظيم فضلها: فعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سيد

الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنتَ ربي لا إله إلا أنت، خلقتني، وأنا عبدُك، وأنا علىٰ عهدك ووعدك ما استطعتُ، أعوذ بك من شرِّ ما صنعتُ، أبوءُ لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها في النهار موقناً بها، فبات قبل أن يُمسي: فهو من أهل الجنة، ومن قالها في الليل وهو موقن بها، فبات قبل أن يصبح: فهو من أهل الجنة» رواه البخاري.

وبَيَّنَ ﷺ أن في الاستغفار جِلاء للقلوب من الصدأ: فعن أنس رضي الله عنه قال ﷺ قال: «إن للقلوب صدأ كصدأ النحاس، وجِلاؤها الاستغفار» رواه البيهقي.

وبَيَّنَ ﷺ أن كثرة الاستغفار تفرّج الهموم، وتخرج من المضايق، وتسهل الرزق: فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ﷺ:«من لزم الاستغفار: جعل الله له من كلّ هم فرجاً؛ ومن كل ضيق مخرجاً؛ ورزقه من حيثُ لا يحتسب» رواه أبو داود والنسائي.

4.تعوذه ﷺ[1]:

يرغب المسلم بالتعرف علىٰ ما كان يستعيذ به النبي ﷺ وهي كثيرة ومنها:

أ.البلاء والشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: «كان ﷺ يتعوذ من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء» رواه الشيخان.

ب.الجبن والبخل وسوء العمر وفتنة الصدر وعذاب القبر، فعن عمر رضي الله عنه: «كان ﷺ يتعوذ من خمس: من الجبن والبخل وسوء العمر وفتنة الصدر وعذاب القبر» رواه أبو داود والنسائي.

---

(1) مستفادة من الجامع الصغير للسيوطي مع شرح للمناوي.

3 .الجان وعين الناس، فعن أبي سعيد ﷺ: «كان ﷺ يتعوّذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلت أخذ بهما وترك ما سواهما» رواه الترمذي والنسائي وصححه السيوطي.

4 .موت الفجأة فعن أبي أمامة ﷺ: «كان ﷺ يتعوذ من موت الفجأة، وكان يعجبه أن يمرض قبل أن يموت» رواه الطبراني في الكبير وضعفه السيوطي.

تم وبالخير عم

المحتوى

تمهيد..... 11
في وجوب التعرف إلى جناب..... 11
رسول الله ﷺ وسجاياه اللطيفة..... 11
المبحث الأول..... 13
صفاته ﷺ الخَلقية..... 13
تمهيد..... 13
في جوامع من أوصافه الكريمة ﷺ..... 13
المشتملة على محاسن خَلقه 13
أولاً: حول محاسن صورته الشريفة ﷺ: 14
ثانياً: تلألؤ وجهه المنبر وإشراق مُحياه:..... 16
ثالثاً: عرقه الشريف وطيب رائحته ﷺ: 16
رابعاً: حول خصائص ريقه ﷺ الشريف:..... 18
خامساً: جماله ﷺ: 18
سادساً: قوة بصره الشريف ﷺ:..... 18
سابعاً: قوة سمعه الشريف ﷺ: 19
ثامناً: صوته الشريف ﷺ:..... 20
التاسع: أرجحية عقله الشريف ﷺ على سائر العقول: 20
العاشر: خاتم النبوة:..... 22
الحادي عشر: تتمة صفات النبي ﷺ الخَلْقية:..... 31

المبحث الثاني..... 23
صفاته ﷺ الخُلُقية..... 23
تمهيد:..... 23
أولاً: خلقه العظيم ﷺ:..... 23
ثانياً: رسول الله ﷺ هو المثل الأكمل في الخَلْق والخُلُق:..... 24
المطلب الأول..... 24
قلبه الشريف ﷺ ونظافته وتجمله..... 25
أولاً: قلبه الشريف ﷺ:..... 25
ثانياً: اهتمامته ﷺ بالنظافة:..... 27
ثالثاً: اهتمامه ﷺ التجمل:..... 29
رابعاً: ضحكته ﷺ:..... 29
خامساً: زينته ولباسه ﷺ:..... 31
سادساً: تختم النبي ﷺ:..... 36
المطلب الثاني..... 37
كلامه ﷺ وسعة علمه..... 37
تمهيد: في صفات آدابه ﷺ في منطقه وسكوته:..... 37
أولاً: حلاوة منطقه ﷺ:..... 38
ثانياً: آدابه في الكلام ﷺ:..... 38
ثالثاً: حاله ﷺ في الخطبة:..... 38
رابعاً: قوَّة وعظه وتذكيره وتأثيره في الصحابة:..... 39
خامساً: فصاحة لسانه وبلاغة كلامه ﷺ:..... 39

سادساً: سعة علمه ﷺ وكثرة علومه التي لا يُحصيها إلا الله تعالى الذي أفاضها عليه: 42
المطلب الثالث 43
حسن عشرته ﷺ لأهله والناس 43
أولاً: كمال لطفه ولين عريكته ﷺ: 43
ثانياً: انبساطه ﷺ مع الأهل وذوي القرابة: 43
ثالثاً: كريم عشرته وحسن معاملته ﷺ مع زوجاته وسائر أهله: 44
رابعاً: معانته ﷺ أهله في الأمور البيتية: 45
خامساً: تأنيسه ﷺ لزوجاته وملاطفتهن: 45
سادساً: أدبه الرفيع مع مَنْ يحدثه ﷺ: 47
سابعاً: حسن لقائه وكريم إقباله على جلسائه ﷺ: 48
ثامناً: بسامته ﷺ وطلاقة وجهه مع الناس: 48
تاسعاً: ردُّه ﷺ التحيةَ بأحسنَ منها: 48
الحادي عشر: ترحيبه ﷺ بالقادم عليه: 49
الثاني عشر: سؤاله ﷺ عن حال أصحابه بقوله: كيف أنت ؟ وكيف أصبحت: 49
الثالث عشر: إكرامه ﷺ كرام القوم: 50
الرابع عشر: مباسطته ﷺ لجلسائه واتساعه لهم: 50
الخامس عشر: مزاحه ﷺ مع جلسائه وإدخال المسرة عليهم: 51
السادس عشر: تبسمه ﷺ حين يلقى أصحابه وحين يحدثهم: 52
السابع عشر: ملاطفته ﷺ للصبيان وملاعبته لهم: 52

الثامن عشر: كمال لطفه ﷺ وشدة اهتمامه بمن يسأله عن أمور الدين من الرجال والنساء: 53
التاسع عشر: مكافأته ﷺ الإكرام بأفضل إكرام: 53
العشرون: مقابلته ﷺ الإحسان بأجمل إحسان: 53
الحادي والعشرون: تفقده ﷺ أصحابه: 54
الثاني والعشرون: حفظه ﷺ للودّ واحتفاظه بالعهد: 54
الثالث والعشرون: زياراته الكريمة ﷺ لأصحابه: 54
الرابع والعشرون: زياراته ﷺ لضعفاء المسلمين عامة ولأهل الصفة خاصة: .. 55
الخامس والعشرون: تفقده ﷺ أصحابه في الليل واستماعه إلى قراءتهم: 55
السادس والعشرون: اهتمامه ﷺ بأهله(): 56
المطلب الرابع 58
أخلاقه ﷺ 58
أولاً: عظيم وفائه ﷺ بالوعد: 58
ثانياً: كمال تواضعه ﷺ: 58
ثالثاً: عظيم حيائه ﷺ: 60
رابعاً: عظيم غضبه ﷺ لحرمات الله تعالى: 61
خامساً: عظيم كرمه ﷺ: 62
سادساً: عظيم شجاعته ﷺ: 63
سابعاً: عظيم مهابته ﷺ وفخامته الكريمة: 63
ثامناً: عظيم صبره ﷺ على أذى المشركين وتحمله الشدائد في سبيل الله تعالى: . 64
تاسعاً: عظيم عدله ﷺ: 64

عاشراً: عظيم رحمته للعالَم ﷺ: 65
الحادي عشر: تتمة في أخلاقه ﷺ: 69
المطلب الخامس 70
آدابه ﷺ 71
أولاً: آدابه ﷺ إذا دخل منزله: 71
ثانياً: آدابه ﷺ إذا خرج من منزله وبرز للناس: 71
ثالثاً: آدابه ﷺ مع جلسائه: 72
رابعاً: سيرته ﷺ في سكوته: 73
خامساً: آدابه العامة ﷺ: 74
1. وقاره العظيم ﷺ: 74
2. تقديمه ﷺ كبير القوم في الكلام: 74
3. تكريمه ﷺ أهل الفضل: 75
4. تحسينه ﷺ الحسن وتنشيطه على إتقان العمل وحسنه: 75
5. مشاورته ﷺ لأصحابه: 76
6. حثه ﷺ على الاستشارة: 77
7. تصويبه ﷺ الرأي الحسن وعمله بمقتضاه: 77
8. حبه ﷺ حسن الأسباء وكراهته قبيحها: 78
9. حبه ﷺ الفأل الصالح وكراهته التطير: 79
10. حبه ﷺ التيمن في شأنه كله: 80
11. كراهيته ﷺ إطلاق بعض الكلمات مخافة إيهامها: 81
12. متفرقات في آداب للنبي ﷺ: 82

المطلب السادس..... 88
متفرقات في أحول النبي ﷺ..... 88
أولاً: طعام النبي ﷺ وشرابه:..... 88
ثانياً: أحب الأشياء للنبي ﷺ:..... 91
ثالثاً: حال النبي ﷺ أثناء شهود الجنازة:..... 93
رابعاً: حال النبي ﷺ مع زيادة الهموم عليه:..... 94
خامساً: احتجام النبي ﷺ وأحواله المختلفة:..... 94
المطلب السابع 96
عبادته ﷺ 96
تمهيد:..... 96
أولاً: خشيته ﷺ من الله تعالى وخوفه منه: 98
ثانياً: خشوعه ﷺ لله تعالى وبكاؤه من خشية الله تعالى:..... 98
ثانياً: سمات المنهج التعبدي للنبي ﷺ:..... 99
ثالثاً: تهجده ﷺ:..... 102
1. وقت قيامه ﷺ متهجداً:..... 102
2. أذكاره ﷺ حين يستيقظ لصلاة الليل: 103
3. إطالته ﷺ في صلاة الليل: 104
4. أدعيته ﷺ في سجود الليل:..... 105
5. هيئات صلاته ﷺ النافلة في الليل:..... 105
رابعاً: نوافله ﷺ:..... 106
1. صلاته ﷺ في الضحى:..... 106

2. نوافله ﷺ بين المغرب والعشاء:..... 107
خامساً: متفرقات من صورة تعبده ﷺ:..... 108
سادساً: دعاؤه ﷺ:..... 110
1. آدابه ﷺ في الدعاء:..... 111
2. من أدعيته الجامعة ﷺ:..... 114
3. أدعيته ﷺ في مناسبات متعددة:..... 115
4. تتمة في أدعية متفرقة للنبي ﷺ:..... 120
سابعاً: أذكاره ﷺ:..... 123
1. ذكر الصباح:..... 123
2. تسبيحه وتحميده ﷺ:..... 124
3. استغفاره ﷺ:..... 125
4. تعوذه ﷺ:..... 126